المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
ⵓⵔⵉⵎ ⵓⵙⵎⵓⵍ ⵏ ⵜⵙⴰⵡⴰⵍⵜ ⵜⵎⴰⵣⵉⵖⵜ
INSTITUT ROYAL DE LA CULTURE AMAZIGHE

ⵓⵔⵉⵎ ⵏ ⵓⵙⵉⵏⴰⴳ
أسيناگ

مجلة المعهد – عدد 12

أسيناگ – ⵓⵙⵉⵏⴰⴳ

مجلة دورية
العدد الثاني عشر - 2017

أسيناگ-Asinag مجلة علمية وثقافية مغربية، مخصّصة للأمازيغية ومكوناتها اللغوية والحضارية. وهي متعدّدة اللغات، وتشمل ملفات علمية، ومقالات وحوارات وعروض إصدارات، وملخصات أطروحات وإبداعات أدبية، وإشارات بيبليوغرافية. وهي مجلّة مُحكّمة، تتوفر على لجنة علمية، ومفتوحة للمجموعة العلمية الوطنية والدولية.

© المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
2028-5663 : ISSN
رقم الإيداع القانوني : 2008 MO 0062
..... – الرباط 2017

المحتويات

تقديم 7

البشير أبرزاق
واحة "تيسينت" من خلال رحلة "التعرف على المغرب" لشارل دوفوكو
..... 11

عبد الرحمن أمل
مسكوكات طنجة الوسيطية - ملامح تاريخية من نقودها –
(منذ دخول الإسلام إلى نهاية القرن 3 هـ) 31

مبارك ايت عدي
مغرب القرن السادس عشر من خلال كتابات العلامة أحمد بابَ
الصنهاجي التنبكتي - 963هـ/1556م- 1036 هـ/1627م 59

ملخصات الأطروحات الجامعية 69

تقديم

يأتي هذا العدد من مجلة أسيناگ دون أن يتضمّن، كما جرت العادة ملفاً موضوعاتياً، حيث يشمل جملة من المقالات متنوعة المواضيع والاهتمامات، ثلاثة منها باللغة العربية، وخمسة باللغة الفرنسية، وثلاثة باللغة الأنجليزية. وتشترك هاته المساهمات الفكرية في أنها تقوم على مقصد جوهري يروم تقديم إضاءات جديدة حول جانب أو عدة جوانب وتجليات وأبعاد منظومة ممارسات وتمثلات الأمازيغية. وتندرج هذه الدراسات في نطاق الحقول المعرفية الآتية : التاريخ بالنسبة للشق العربي، واللسانيات والأدب، بالنسبة للشق اللاتيني.

يشمل الشق العربي ثلاث مساهمات تندرج كلها ضمن مجال الدراسات التاريخية. وسيتم عرضها في ما يأتي مرتّبةً على نحو تحقيبها التاريخي التصاعدي.

تناول عبد الرحمن أمل في دراسته إحدى أهم المؤسسات في تاريخ مدينة طنجة خلال العصر الوسيط. ويتعلق الأمر بمعمل سكّ النقود، المعروف بـ"دار السكة". فتطرّق للعملات المضروبة في عهد الأمويين والأدارسة، والعائلات الحاكمة بالمغرب الوسيط، أو التي كان لها نفوذ على طنجة وضواحيها. وقد عزّز الباحث دراسته بنماذج من القطع النقدية مرفقة بشروحات حولها وحول النقوش الكتابية التي تزيّنها، وذلك قصد استخبار هذه الأخيرة وتحليلها للمساهمة في كتابة صفحات من تاريخ جوهرة البوغاز، الذي ما تزال بعض جوانبه مغمورة.

وخصص مبارك آيت عدّي مقاله لدراسة صورة المغرب عند نهاية القرن السادس عشر، من خلال كتابات العلامة أحمد باب التنبكتي، المنحدر من إحدى قبائل صنهاجة بالصحراء، مركزا على نصوص حول منفاه بمراكش، في عهد السلطان أحمد المنصور وخلفه مولاي زيدان. حيث توقف الباحث عند أمرين هما لجوء القبائل الأمازيغية إلى إعمال قواعد القانون العرفي من جهة ؛ والإجازة التي يمنحها - باعتباره مفتياً - لـ

"إينفلاس" من أجل تدبير شؤون عشيرتهم في غياب ممثل عن السلطة المركزية (السلطان) محلياً من جهة أخرى.

وتمحورت المساهمة الثالثة، لصاحبها البشير أبرزاق، حول تيسينت في القرن التاسع عشر، وهي إحدى واحات باني، بالجنوب الشرقي للأطلس الصغير، بين طاطا غرباً وفم زگيد شرقاً. حيث عالج الباحث هذا العالم المصغّر اعتماداً على معطيات مستقاة ميدانياً من قِبَل المستكشف شارل دو فوكو Charles de Foucauld، والمتضمَّنة في مؤلَّفه الذي يحمل عنوان "التعرف على المغرب (1888) *Reconnaissance au Maroc*". وقد اتخذ العرض شكل مونوغرافية وصفية لمختلف جوانب الفضاء المدروس، من قبيل الوسط الطبيعي، والأنشطة الفلاحية-الرعوية، والتبادلات التجارية، ونمط السكَن، وملامح السكان، والبنيات الاجتماعية، واللباس، والتغذية، والحياة الدينية، والوضعية السياسية وما إلى ذلك من عناصر وصفية. وأكّد الباحث على أن هذه المظاهر الموصوفة والمعلومات المحصّلة كانت موضوع دقة وصرامة علميتين من لدن مجمّعها دو فوكو، بالرغم من كون مأمورية هذا الأخير كانت في نطاق الرؤية الإيديولوجية للتوسع الكولونيالي وقتذاك.

ويشمل الجانب اللاتيني ثمانية مقالات، تعالج خمسة منها قضايا لغوية، وتتناول المقالات الثلاثة الأخرى مواضيع أدبية. ففي المقال الأول قام عبد العزيز بركاي بتحليل ظاهرة التداخل اللغوي ذي الأثر الرجعي، والمتمثّل في وضعية تداخل لغة مكتسَبة بَعْدِيّاً مع اللغة الأم، حيث تم تطبيق هذا المفهوم على اللغات المستعملة بإذاعة سومّام بمدينة بجاية بالجزائر، وهي العربية والفرنسية والأمازيغية.

وفي دراسته لأثر اتصال الأمازيغية والدارجة المغربية على النبر يخلص رضوان فايزي إلى الاختلاف القائم بين اللغتين من حيث العناصر المحدِّدة له، فعلى الرغم من تأثر أغلب المستويات اللسانية بهذا الاتصال اللغوي يظل النبر بمنأى عن المؤثرات الخارجية. حيث يُسجل، عموما، احتفاظ الكلمات الأمازيغية المقترضة من العربية بنبرها الأصلي، ولا يتغير هذا الأمر إلا إذا تعرضت الكلمات المقترضة لسيرورة اختزالية أو

صرفية، حيث يُسند إليها النبر، في هذه الحالة، طبقا لقواعد النبر في الأمازيغية.

وانطلاقا من الاهتمام الذي تحظى به الضمائر المتصلة في اللسانيات الحديثة، ومما تتقاسمه من صفات تركيبية وصرافية وصواتية، يقدم مقال حسن مخاض إضاءة حول خاصياتها الاستثنائية في تاشلحيت، حيث يسلط الضوء على موقعها في الجملة والطبيعة التركيبية لمستقبلها. فيفسر، اعتمادا على مجموعة من البراهين، السلوك المحير للضمائر بفرضية مفادها أن بنية الجملة في تاشلحيت تتضمن مركبا زمنيا، وأن هذا الأخير هو الذي يستقبل المقولة المعنية بالدراسة.

ويتناول محمد مروان، في مقالته، سيرورة الإدماج العروضي التي تؤثّر خاصة في المقطع الصدريّ لفئة من مقتَرضات تاشلحيت من الدارجة المغربية. و تنتج التحولات التي تطال المفردات المقتَرَضة أساساً عن إواليات ثلاث : إقحام صائت ذي طبيعة صرفية أو صوتية، وتقوية الحركة المختلَسة، وتضعيف ذيل المقطع الصدري. ويترتب عن هذه التعديلات، التي غالبا ما ما تعالَج في إطار الصواتة الاقتراضية ، وقع بالغ على المستوى العروضي، حيث تؤثر أساسا في المقطع الصدريّ وتؤدّي إلى تنبيره. وقد توسّل الباحث في دراسته بالنظرية الأمثلية Optimality التي تعتبر أن تكييف المقتَرضَات يتولّد عن تطبيق قيْدَي "صاقب Align" و"حلّل Parse " وترتيبهما.

وفي مجال الأدب، قامت سعاد مضيان بدراسة قارنت فيها بين الأمثال الريفية ونظيرتها القبايلية من حيث الصورة التي تقدمها عن المرأة، وانتهت إلى أن هذه التعابير التي تتسم بخاصية التقادم اللغوي تعطي صورة سلبية عنها سواءً كانت زوجة أو بنتا أو حماة، ولا يُستثنى من هذا الحكم سوى الأم.

أما محمد أمرير فيناقش في مساهمته الآثار الإبستيمولوجية لأحد النصوص الأولى المكتوبة بالأمازيغية الحديثة، ويتعلق الأمر برواية "تاوارگيت د اِيميكّ *Tawargit d imik* " لمحمد أكوناض. فيعتبر هذا العمل فاتحةً تدشينية لنمط فريد في التعبير الأدبي باللغة الأمازيغية، ويطرح

تساؤلات أساسية من قبيل : "إلى أي مدىً تؤثر الشفهية في الكتابة الإبداعية ؟" و"هل يتعلق الأمر بأدب مكتوب أمازيغي، أم بأدب أمازيغيّ مكتوب ؟"، و"هل ثمّةَ حدود فاصلة بين جمالية الحكي الشفهي وجمالية السرد الروائيّ ؟" وأخيراً، "هل الكتابة والحكي الشفهي شكلان لنفس العملية الإبداعية؟". وقد أتى البحث بإجابات متعددة عن هذه الأسئلة.

وفي مجال الإبداع الشعري، تخصص نورة بلـگاسمية دراستها للإبداع النسائي القبائليّ، فتعالج طابوهات الحب من خلال قصائد شفوية مدوّنة بالقبائلية ومترجمة إلى الفرنسية. وتكمن أهمية هذه المساهمة في سعيها إلى كشف المضمَر عبر التلميح والضمنية، في علاقات الرجل والمرأة خاصة، والدور المتجذِّر لكل واحد منهما وكذا مكانتهما في مجتمع يُهيمن فيه الأول. ففي هذا الوسط الذي تحكمه عادات الأسلاف، يحرر الشعر المرأة، فيمكنها من الكشف عن مشاعرها وفرض نفسها. وقد أدّت مساهمة المرأة في التعبير عن الحب بواسطة الشعر إلى إماطة اللثام عن هذه العاطفة لدى الرجل أيضا، وجعلته، من ثم، بصفة مفارقة على قدم المساواة مع المرأة؛ تُجرّده تارة من "الأنا" الذكورية، وتمتلك روحه المليئة بالمعاناة تارة أخرى. وهكذا يأتي الشعر عبر خطاب ضمني غني بالمضمرات والتلميحات ليغزو عالم الرجل ويدعوه إلى إعادة النظر في مكانة المرأة في المجتمع واعتبارها شريكا حقيقيا.

وفي باب "عروض" قدم خالد عنسار عرضا حول كتاب *Featural Dissimilation in Tashlhit – Avoiding the Repetition of Labial and Round*[1] لصاحبه كريم بنسكاس.

أما باب "ملخصات الأطاريح"، المخصص للتعريف بالرسائل الجامعية المنجزَة حول اللغة والثقافة الأمازيغيتين، فقد شمل ملخصات كل من علي موريف، ومحمد لعضمات، والحسين أموزاي، نوقشت الأطروحة الأولى بكلية علوم التربية بالرباط سنة 2015، وتمحورت حول "تدريس التاريخ وبناء الهوية الوطنية: مُساهمة في التحليل السُّوسيوتربوي للخطاب

[1] ـ "المخالفة السماتية في تشلحيت : تفادي تكرار سمتي [شفهي] و [مستدير]".

التاريخي المدرسي بالمغرب؛ السلك الثانوي الإعدادي نموذجاً"، وتناولت الأطروحة الثانية التي نوقشت هي أيضا سنة 2015 بكلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس "كتاب ترجمة معاني القرآن الكريم بالأمازيغية لجهادي الحسين: محاولة في نقد الترجمة وتجويدها"، أما الأطروحة الثالثة فنوقشت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سنة 2015 حول موضوع: "الجمل الموصولة في الأمازيغية المغربية، مقاربة مقارنة".

وختاما، لا يسع إدارة مجلة أسيناك وهيئة تحريرها إلا أن تعبّر عن بالغ الشكر والامتنان للسيدات والسادة الباحثات والباحثين الذين ساهموا في في إنجاز هذا العدد، وهم : الحسين المجاهد، وإدريس أزضوض، وعمر أفا، والمختار بلعربي، وخالد بنصغير، وسعيد بنيس، وعائشة بوحجر، وفاطمة بوخريص، ومولاي هاشم الجرموني، وعبد العزيز الخياري، ورشيد رضوان، ومحمد سكنفل، وبهيجة الشادلي، وعبد الرحيم شعبان، وأحمد الشكري، وحسن الصادقي، وأحمد صالح الطاهري، وميلود طايفي، ونعيمة العمري، وخالد عنسار، ومحمد فتحة، ومحمد كبيري علوي، ورشيد لعبدلوي، ومحمد لعضمات، وخديجة محسن، وسميرة مكريم، و عبد الله المنتصر، ومحمد ياسر الهلالي، واوهامي ولد ابراهام.

واحة "تيسينت"[1] من خلال رحلة "التعرف على المغرب" لشارل دوفوكو

البشير أبرزاق
باحث/أكاديمية العيون الساقية الحمراء

"Tesent Oasis" is one of the oases of the Bani's country. It is situated between Tata and Faum Zguid. The famous French explorer,"Charles DE Foucauld", settled there nearly four months, during his expedition to Morocco in 1883-1884.That enabled him toidentify the aspects of social, cultural life of the oasis, as well as the composition of ethnic, political difficulty and economic structures.Part of his book titled "Reconnaissance Au Maroc" is aboutexploring Morocco.

This contribution is a desire to represent "Tesentoasis" in the French mind, via exploring the image produced by "Charles DE Foucauld"about the region from the journey text.

مقدمة

في ظل التحولات السياسية والتقنية والاقتصادية والاجتماعية التي عرفها النظام الرأسمالي الأوربي خلال القرن التاسع عشر، برزت الظاهرة الاستعمارية سبيلا لتجاوز التناقضات الاقتصادية والاجتماعية والمالية المرتبطة بهذا النظام. وفي تلك الظروف نشطت الرحلات الأوربية الاستكشافية فيما وراء البحار، في إطار التمهيد لتدشين المشاريع الاستعمارية الأوربية بالعالم؛ عبر التقرب والانفتاح على المجتمعات غير

[1] "تيسينت" بكسر التاء، مشتقة من الكلمة الأمازيغية " تيسنت"، التي تعني الملح. وحول تيسينت، أُنظر: مبارك أوسديد: "تسينت"، معلمة المغرب، ج 8، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1995، ص 2701-2702.
- إحدى واحات باني، جنوب شرق المغرب، تبعد بحوالي 70 كيلومتر جنوب واحة طاطا. ولفظة

الأوربية، ودراسة مظاهر حياتها الاجتماعية والثقافية وتركيبتها الإثنية ووضعيتها السياسية وبنياتها الاقتصادية، مما مكنها من تقديم صورة دقيقة عن العوالم المستهدفة. وضمن هذا السياق جاءت رحلة الفرنسي شارل دوفوكو إلى المغرب(1883-1884)[2].

وجاء تركيزنا على رحلة "التعرف على المغرب" لشارل دوفوكو[3]، في تشخيص صورة المجتمع المغربي الواحي، من خلال نموذج واحة تيسينت، نظرا لانفراده بزيارة المنطقة واستقراره بها قرابة أربعة أشهر. ومن ثمة يمكن اعتبار رحلته مصدرا أساسيا في التأريخ لتيسينت خلال القرن التاسع عشر. ولعل في دلالة عنوان الرحلة ما يحيل منذ البداية على أن صاحبها يقدم جديدا ويصحح غموضا ويعرف بالمغرب المجهول لدى الساسة الفرنسيين آنذاك.

وإذا كانت مختلف الكتابات الاستعلاماتية والاستكشافية الأوربية حول مغرب القرن التاسع عشر يطغى عليها طابع التعميم وإصدار الأحكام المسبقة، فإن دوفوكو أعطى لرحلته طابعا خاصا على مستوى دقة معلوماته وعلميتها إلى حد كبير.

إن مسعى هذه الدراسة هو الوقوف عند تمثل واحة تيسينت في المخيال الفرنسي، عبر البحث في الصورة التي أنتجها شارل دوفوكو عن المنطقة، مساهمةً في إماطة اللثام عن تاريخ واحات جنوب جبل باني، التي لم تنل نصيبها من البحث التاريخي الذي تستحقه[4] رغم حضورها التاريخي الكبير والعميق في صناعة أحداث تاريخ المغرب.

- من بين الرحلات الأوربية نحو المغرب خلال القرن التاسع عشر، نذكر: رحلة الاسباني دومينغو باديا[2]
(1803-1807)، ورحلة الفرنسيين دولاكروا سنة 1831، وفرناند شيكلير سنة 1859، ورحلة الألماني رولفس جيرالد 1861...وحول بيوغرافية دوفوكو، أُنظر:.Bazin René, 1931 ، و Jean François, 1962,، و سمير بوزويتة، 2007

[3]- انتهى دوفوكو من تحرير كتابه سنة 1887، ونشر لأول مرة عام 1888 وأعيد نشره سنوات 1935 و1986، و1998. وقام الأستاذ المختار بلعربي بترجمته إلى اللغة العربية بعنوان" التعرف على المغرب 1883 -1884" سنة 1999 ضمن منشورات دار الثقافة بالدار البيضاء وإشراف الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر.

- تعتبر دراسة كل من جمال بلخضر وآخرين (1992) أهم مونوغرافية أنجزت حول واحة تيسينت

ولسنا في حاجة إلى كبير عناء لكي نبين ما حظيت به واحة تيسينت من أهمية في رحلة دوفوكو، فقد شمل حديثه عنها حيزا لا يمكن لدارس الرحلة أن يتجاوزه. وقد مرت هذه الرحلة في مرحلتين أساسيتين: امتدت المرحة الأولى ما بين 14 و16 نونبر 1883. أما المرحلة الثانية، فقد استقر خلالها دوفوكو بالمنطقة حوالي أربعة أشهر في ضيافة الحاج بورحيم ولد بورزاق بقصر أگادير الكبير مابين 18 دجنبر 1883 و6 أبريل 1884، حيث غادر دوفوكو تيسينت بشكل نهائي.

وخلال مدة إقامته قدم الرحالة مشاهداته ويومياته عن الواقع التيسينتي، مجتمعيا وعمرانيا، وسياسيا، وجغرافيا...فكيف كانت الصورة التي قدمها عن الواحة ؟ وإلى أي مدى تمكن من تشخيص الواقع التاريخي والممارسات الاجتماعية والثقافية للمجتمع التيسينتي خلال أواخر القرن التاسع عشر؟

1. الوسط الطبيعي

إن أهم ما يستوقف الناظر لرحلة "التعرف على المغرب" هو غنى المعطيات التي تهم واحة تيسينت، وكذا حرص صاحبها على تدقيق ودقة كل ما يتعلق بالجغرافية الطبيعية للواحة. ولا ضير في ذلك، إذا استحضرنا البعد الاستراتيجي الذي كان وراء العمل الاستكشافي لدوفوكو بالمغرب، وهو تمهيد الطريق أمام الجيوش الفرنسية للتدخل المباشر في التراب المغربي.

لقد سحرت الواحة دوفوكو بهوائها الدافئ وصمتها العميق وطبيعتها الخلابة[5]، فأصبح أمام منطقة جديدة يختلف كل ما فيها عما رآه في باقي مناطق المغرب التي زارها[6]. إذ جمعت بين غنى وتنوع مواردها الطبيعية،

إلى حد الآن.[4]

[5]- شارل دوفوكو، التعرف على المغرب (1883-1884)، ترجمة المختار بلعربي، الطبعة الأولى، دار الثقافة، الدار البيضاء ، 1999، ص 156.

[6] - نفسه، ص 182.

وظروفها المناخية الصحراوية الجافة. فهي تمتد عند قدم جبل باني[7]، وتلال قليلة الارتفاع وهضاب رملية[8]، ووسط غابات نخلية دائمة الاخضرار وقصور مليئة رفاهية وثروة[9].

وفي حديثه عن الثروة المائية التي تختزنها تيسينت، نجد دوفوكو ومنذ أن وطأت قدماه قصر تنزيطة مساء يوم 13 نونبر 1883 قادما من منطقة تازناخت[10]، لا يفتأ عن ذكر كل الأودية والأنهار والسواقي التي مر بها، يقول مثلا: " نسير بين مئات قنوات السقي، بين أشجار نخيل كبيرة ذات مظاهر عجيبة"[11]. وأسهب دوفوكو في وصف واد تيسينت الكبير[12]، وحجم مياهه وأسماكه، إذ فيه "كثير من الماء خلال جميع فصول السنة، هذا الماء مالح، يفضل الناس شرب مياه الأمطار والتي تحفظ في حفر بعض صخور الجوار"[13]، وأسماكه كثيرة يصطادها السكان، ويصل طول بعضها إلى 40 سنتمترا.

ورغم أن ساكنة المنطقة لا تملك صهاريج خاصة لحفظ مياه الأمطار[14] تؤكد المعلومات على وجود نظام يمكن من الاستفادة من الثروة المائية التي يوفرها واد تيسينت. وهذا ما يستخلص من قول دوفوكو: "عند مدخل النخيل، قبالة أكادير، يحجز المياه سد: يتكون عند هذه النقطة خزان طويل الشكل وعميق. تنطلق من هذا الخزان مجموعة سواقي لاتحصى لري كل بقعة أرض"[15].

---

[7] - نفسه، ص154.

[8] - نفسه، ص 158-161.

[9] - نفسه، ص182.

[10] - نفسه، ص 156.

[11] - نفسه، ص 156

[12] - ونعني به الواد الذي تلتقي منابعه على ضفاف قصر أقا نايت سيدي في اتجاهي قصر تنزيطة، والمنطقة المعروفة محليا بـ"أماريغ". وهو الذي يكون "شلال العتيق" قبالة قصر أكادير.

[13] - دوفوكو، م س ، ص 162.

[14] - نفسه، ص 162.

[15] - نفسه، ص 162.

ولم يقف الرحالة عند هذا الحد، بل قدم تفاصيل دقيقة حول كل ما يتعلق بأودية تيسينت على مستوى وضعها الطبوغرافي من عمق وعرض وحدود جغرافية. ليضعنا أمام عمل جغرافي هام. فهذا واد تنزيطة الذي يصل عرضه إلى حوالي 100 متر، يحده جنوبا جبل باني وشمالا سهل الفايجة، ويوجد على بعد يتراوح ما بين 20 و25 مترا. ويفصل القصر عن سهل الفايجة حافة تكاد تكون عمودية. أما قعره فعبارة عن رمال بيضاء، مغروس بالنخيل[16]. وتَتَبع دوفوكو التغير الذي لحق مجرى هذا الواد في الاتجاه الجنوبي نحو مركز الواحة، إذ سجل أن قعره يضيق شيئا فشيئا حتى منطقة أقا نايت سيدي، ويزداد ضيقا إلى أن يصل إلى 40 مترا عند فم تيسينت[17]. أما واد "قصبة الجوع" فهو عبارة عن سرير نصفه صخور ونصفه الآخر رمل، وعرضه 20 مترا، ذي ماء صافٍ وجارٍ وصالح للشرب[18].

أما واد تيسينت فهو "يمر وسط النخيل وينمو النخيل على ضفافه، وتنشر ظلالها على مياهه. يوجد سرير النهر الصخري في كل مكان تقريبا...عرض النهر مابين 100 و120 مترا. تغطي ربع هذا العرض المياه التي تتوزع إلى عدة أدرع. عند عالية الواحة حجم المياه أكثر أهمية"[19]. وبفضل وفرة الموارد المائية بها، صارت تيسينت أغنى الواحات المغربية التي رآها دوفوكو، على مستوى كميات المياه الجارية[20].

وهذه المعطيات رغم بساطتها وجزئيتها، إلا أن أهميتها كبيرة بالنسبة للدوائر الفرنسية، التي كانت ترغب في معرفة كل حيثيات المجال المغربي؛ وخاصة الأجزاء النائية منه، قصد توظيفها في إتمام تحقيق مشروعها الاستعماري في شمال إفريقيا.

2. الحياة الاقتصادية

---

[16]- نفسه، ص 157.
[17]- نفسه، ص 157.
[18]- نفسه، ص 158 .
[19]- نفسه، ص 162.
[20]- نفسه، ص 162.

تميز الاقتصاد التيسينتي، شأنه شأن مناطق مغرب القرن التاسع عشر، بالبساطة وسيطرة النشاطين الفلاحي والتجاري. وكانت أهم العمليات التبادلية للواحة تتم مع باقي المناطق المغربية وخاصة تارودانت وأكادير إلى حدود الصويرة، وفي اتجاه آخر نحو أفريقيا جنوب الصحراء التي تشكل العمق التاريخي لتيسينت.

أ. النشاط الفلاحي

يرتكز النشاط الفلاحي لواحة تيسينت أساسا على النخيل، وذلك بحكم الظروف المناخية الجافة للمنطقة. فنادرا ما يرى المرء- حسب دوفوكو- أشجارا أخرى كالتين مثلا، أو مزروعات أخرى تحت ظلال النخيل، باستثناء حقول الحبوب في بعض المناطق البورية أو خارج مجالات النخيل[21]. وكانت الحبوب تزرع خلال شهر دجنبر وتجمع الغلات في شهر مارس[22]. أما الخضر فلا تزرع إلا خلال سنوات الأمطار حيث يكون واد تيسينت"أوفر ماء مما هو عليه خلال السنوات الأخرى، حيث يوفر أكثر مما تحتاج إليه النخيل من الماء، فيمكن إذاك النهر إرواء مساحة أكبر من الأرض"[23]. وهذا دليل على أهمية هذا الواد في تخصيب الحياة الفلاحية بالواحة.

يتبين مما سبق أن الإنتاج النخلي يشكل قوة الثروة الفلاحية بتيسينت، وهو ما جعل منها أحد أهم مراكز التمور في الجنوب المغربي. فحسب دوفوكو من بين الواحات الثلاث المشهورة في المنطقة، طاطا، وأقا، وتيسينت، تتميز طاطا بكثرة سكانها، في حين تحتل تيسينت المرتبة الأولى على مستوى عدد النخيل. ويتجلى ذلك في تنوع أصناف التمور الموجودة بها، حيث نجد: الجيهل وبوطوب وبوسكري وبوسواير، وجودتها الكبيرة، فـــ"التمور جيدة جدا في تيسينت، بينما هي عادية في مناطق أخرى"[24].

---

[21]- نفسه، ص 163.
[22]- نفسه، ص 161.
[23]- نفسه، ص 163.
[24]- نفسه، ص 163.

أما على مستوى تقنيات الري، فلا يمكن فصلها عن واقع الفلاحة التقليدية" باعتبارها جزءا من كل متكافئ، من حيث التقدم والتطور أو التأخر والركود، مع باقي الأجزاء الأخرى المكونة لبنية المجتمع المغربي التقليدي"[25]. إذ كانت تعتمد على تحويل مياه واد تيسينت عبر القنوات والسواقي المتعددة، ويتضح ذلك من خلال قول دوفوكو:"نسير بين مئات قنوات السقي بين أشجار نخيل كبيرة ذات مظاهر عجيبة"[26].إضافة إلى اعتماد تقنية السدود لتخزين المياه، فـــــ"عند مدخل النخيل، قبالة أكادير، يحجز المياه سد: يتكون عند هذه النقطة خزان طويل الشكل وعميق. تنطلق من هذا الخزان مجموعة سواقي لا تحصى لري كل بقعة أرض"[27].

إن نظام السقي بواحة تيسينت، كغيرها من المناطق الواحية، كانت له أبعاد اقتصادية واجتماعية. ذلك أن وجود عدد لا يحصى من السواقي، يجسد عمق التضامن بين قصور تيسينت وساكنة القصر الواحد في ما بينها، كما يعبر في نفس الآن عن الوعي بضرورة العيش المشترك القائم على التوزيع العادل للمياه التي يوفرها الواد باعتباره ملكا جماعيا لكل قصور الواحة ودواويرها.

أما بالنسبة لتربية الماشية، ورغم قلتها فقد سجل دوفوكو تنوعا نسبيا من حيث أصناف المواشي الموجودة بتيسينت. فتربية الأبقار مقتصرة على العائلات الخمسة عشر الغنية بالواحة، وعدد الرؤوس بها لا يتجاوز 25 رأسا. إضافة إلى نحو 25 رأسا من الحمير، وعدد قليل من الأغنام والماعز، أما الخيول فهي نادرة جدا في المنطقة بسبب صعوبة تغذيتها، إذلم يتجاوز عدد الفرسان 3 أو 4 في مجموع الواحة. وكانت هذه المواشي تتغذى أساسا على التبن والعشب والرديء من التمر المسمى"بوسوايز"[28].

---

[25] - الهادي الهروي، القبيلة، الاقطاع والمخزن، مقاربة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934، أفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، 2005، ص 82.

[26] - دوفوكو، م س، ص 156.

[27] - نفسه، ص 162.

[28] - نفسه، ص 167.

وأمام الصعوبات الطبيعية يلجأ بعض سكان الواحة أحيانا إلى اتخاذ تدابير وقائية لتربية مواشيهم مثل التعاقد مع الرعاة من الرحل، فيوكلون إليهم أمر خيولهم وأغنامهم، ويتكلف الرحل بتغذيتها مقابل استعمالها والاستفادة منها، وتنتهي هذه العقدة عند طلب أصحاب المواشي[29].

ب. النشاط التجاري

شكل مجال تيسينت محورا تجاريا أساسيا بين المغرب وأفريقيا جنوب الصحراء خلال فترات مهمة من التاريخ. وخلال القرن التاسع عشر كانت تيسينت حاضرة ضمن شبكة الطرق التجارية الكبرى بالمغرب. فبالإضافة إلى الطريق المنطلق من فاس نحو مكناس وتازة والعرائش والرباط ووزان وتطوان وطنجة وفكيك، والطريق المنطلق من مراكش نحو بني ملال وأبي الجعد وأزمور والصويرة وتيكيرت وتازناخت، نجد طريقا يربط بين تيسينت والصويرة عبر تارودانت وأكادير[30].

وبدراسة المعطيات الاقتصادية التي قدمها دوفوكو في نصه الرحلي، تتأكد المكانة الهامة التي يمثلها النشاط التجاري بالواحة. فقد تحدث عنها باعتبارها مركزا تجاريا مهما، وخاصة قصر أكادير الكبير حيث تتمركز تجارة الواحة وحيث يقام السوق الوحيد بها كل يوم[31]. ويرجع دوفوكو الحركية التجارية التي عاشتها تيسينت، وخاصة بمركزها أكادير، إلى الوضع الاجتماعي لسكان القصر، والثروات المالية التي راكموها من تمور النخيل[32]. حيث صار أهل أكادير من أرباب التجارة بتيسينت، وكانوا يتكلفون بالعمليات الأساسية المرتبطة بالتصدير والاستيراد، في حين أن عمليات البيع المحلية كان يتكلف بها الأجراء من اليهود. إذ كان كل تاجر بقصر أكادير يتوفر على"يهودي أجير، يعيش معه ويقوم بتوزيع المواد صباح مساء"[33].

---

[29] - نفسه، ص 167.

[30] - Laroui, 2001.

[31] - دوفوكو، م س، ص 168- 169.

[32] - نفسه، ص 168.

[33] - نفسه، ص 169.

لقد كان مركز تيسينت خزانا تجاريا، ليس للسكان المحليين فحسب، وإنما للقبائل المجاورة من الرحل، وخاصة إداوبلال وأولاد يحي، الذين يتوافدون على السوق اليومي لاقتناء بعض المواد الأساسية المحلية،كالتمور والحبوب والزيت، والمنتوجات الأوربية كالخنت والسكر والشاي والإبر[34].

أما سوق مغيميمة السنوي، فقد كان ملتقى تجاريا وحضاريا كبيرا، حيث "يأتي الناس إليه من حوض نهر درعة ومن سوس ومن الساحل ومن تافيلالت في كثير من الأحيان، وشوهد فيه تجار قدموا من فكيك"[35].

وقد عرف هذا النشاط التجاري منذ تأسيس مركز تندوف تراجعا كبيرا. إذ لم تعد القوافل التجارية تمر عبر طريق تيسينت، بل كانت تقف عند حدود موقع تندوف، لتسلك الطريق الساحلية عبر بلاد شتوكة في اتجاه الصويرة[36].

وعموما، يمكن تلخيص البنية التجارية لتيسينت،كما حددها دوفوكو، في ما يلي:

مع بلاد مراكش والصويرة وبلاد سوس:

- الصادرات: التمور والجلد والصمغ.
- الواردات: الحبوب والزيت من سوس، والمنتوجات الأوربية كالخنت والسكر والشاي والإبر.

ومن بلاد السودان: تستورد تيسينت الجلود والأثواب وشموع العسل الأصفر والذهب.

---

[34] - نفسه، ص 168.

[35] - نفسه، ص 222.

[36] - نفسه، ص 169.

3. البنى المجتمعية

التركيبة المجتمعية

يبدو أن دوفوكو وجد صعوبة كبيرة في تحديد عدد سكان واحة تيسينت. فباستثناء قصر أكادير الذي حصر عدد سكانه في 500 عائلة، لا نكاد نجد إشارة تذكر في ما يخص القصور الأخرى، حيث اكتفى بذكر قصور تيسينت الخمسة، وهي: أكادير، وأيت ويران، وتزنوت، والزاوية، وبوموسي. واعتبر أن أكادير وبوموسي هما القصران الرئيسيان[37]، بل إنه أحيانا يختزل تيسينت في قصر أكادير.

وعلى مستوى بنية المجتمع التيسينتي خلال أواخر القرن التاسع عشر، يذكر دوفوكو أن التركيبة السكانية للواحة لم تخرج عما هو موجود في واحات جنوب جبل باني، حيث العناصر الأمازيغية من فئة الشلوح و"الحراطين"، مع هيمنة الفئة الأخيرة التي تشكل 9/10 من الساكنة، وهي أقوى نسبة في جميع الأماكن. هكذا يكاد يأهل تيسينت الحراطين بأجمعها"[38].أما فئتي"المرابطين والشرفاء" فيتركزون أساسا في قصري بوموسي والزاوية[39].

ورغم وجود بعض العناصر اليهودية، فإن تأثيرها الاجتماعي يظل محدودا، لارتباط تواجدهم بالعمل التجاري، حيث لا تتوفر تيسينت على ملاح خاص بهم، وإنما يعيشون فرادى باعتبارهم أجراء عند أرباب عملهم، وفئة أخرى تمارس مهنة الصياغة[40].

أما العناصر العربية من القبائل الرحل كإداوبلال وأولاد يحي، فيبقى توافدهم على المنطقة مؤقتا وموسميا في إطار الاتفاقيات التي تنظم العلاقة بين السكان المحليين المستقرين من أهل تيسينت، والرحل الوافدين.

الصفات الخلقية

37- نفسه، ص 163

38- نفسه، 164- 165.

39- نفسه، ص 163.

40- نفسه، ص 169.

من أهم خصوصيات رحلة "التعرف على المغرب"، تلك الدقة في دراسة الواقع الإثني بتيسينت، وخاصة على مستوى الصفات الخلقية للسكان. ففي سياق مقارنته التفاضلية بين الساكنة المحلية من الشلوح و"الحراطين"، والعرب الرحل الوافدين، يعتبر دوفوكو أن" رجال المنطقة، الشلوح والحراطين متوسطوا القامة عادة، جميلوا الطلعة، أقوياء جسمانيا، رشيقون وقبيحوا الوجه"، في حين "يكاد يكون جميع العرب قصيري القامة، نحيفي المظهر ولهم ملامح جميلة."[41]. ويسجل دوفوكو تفاضلا حتى داخل العنصر الواحد ، فعدد النساء الشلحات الجميلات يكاد يكون قليلا مقارنة مع العدد الكبير من الحرطانيات الجميلات[42].

وفي وصفه للنساء "الحرطانيات" مقارنة بنساء القبائل الرحل، سجل صاحب الرحلة، أن "الحرطانيات" يمتزن "أيام شبابهن بعيون كبيرة كثيرة الحركة والتعبير، وببشرة منفتحة وباسمة وحركات مرنة ولطيفة"[43]، إلا أنه لم ير في أي مكان من المغرب- حسب تعبيره- نماذج نساء أجمل من النساء العربيات من إداوبلال وأولاد يحي، من حيث النبل والانسجام والبياض الناصع. هذا بالرغم من أن "ارتداء الملابس الزرقاء، إضافة إلى عدم الاغتسال أعطى أجسامهن فوارق داكنة ومائلة إلى الزرقة ومغايرة للون الطبيعي لجلدهن"[44].

مظاهر الحياة المجتمعية

تتأسس حياة المجتمعات الإنسانية في بعض جوانبها الأساسية على مختلف العلاقات التفاعلية لكل كيان بشري، وما يرتبط بذلك من نظم اجتماعية متعددة من لغة ودين ونمط حياة. والمجتمع التيسينتي باعتباره مجتمعا ريفيا بسيطا، وبحكم ما راكمه من تفاعل وعلاقات، تشكلت لديه عدة خصوصيات ثقافية من عادات وتقاليد توارثتها الأجيال المتعاقبة على

[41]- نفسه، ص 166.
[42]- نفسه، ص 165.
[43]- نفسه، ص 165.
[44]- نفسه، ص 165.

مر السنين، مع إضافة وتغيير كل جيل لبعض جوانبها المادية والمعنوية، إلى أن صارت في صورتها اليوم.

لقد استأثرت مظاهر الحياة المجتمعية والثقافية المحلية للمجتمع التيسينتي باهتمام الرحالة دوفوكو، سواء في جوانبها المادية المحسوسة؛ كالملبس والمسكن والغذاء، أو المعنوية غير المحسوسة ؛كالقيم والسلوكات وغيرها. إلا أن دوفوكو ركز أساسا على بعض المجالات التي اتضحت فيها الخصوصيات المحلية كاللباس والبرنامج الغذائي.

أ. اللباس

يلبس الرجال قشابية من قطن أزرق"الخنت"، طولها ما بين مترين ومترين ونصف، وعرضها ما بين متر ومتر ونصف، يوجد في وسطها شق طولي يمر عبره رأس لابسه. يقع طرفا قطعة الثوب أحدهما إلى الأمام والآخر إلى الوراء، وتعقد زوايا أطراف الثوب بعضها ببعض في اتجاه أسفل قامة لابسها يمينا وشمالا، ويبقى الجانب عاريا. وفي أعلى هذا اللباس، يلتحف البعض "الحائك" من الصوف الأبيض، ويلبس البعض الآخر "البرنوس" الأبيض أو الأسمر . أما الرأس فيحاط بعمامة ضيقة من الخنت أو يبقى عاريا في كثير من الأحيان. وعلى مستوى الأرجل تلبس بلاغي صفراء، وحول الذراع توضع بعض الحروز، وحول العنق فتيل من جلد حيث علقت أربعة أشياء: غليون ذو محرق من خشب السودان الأسود، ومخرز لتنظيفه، وملقط لأخذ جمرة النار وإشعال الغليون، وأخيرا جراب صغير من جلد لحفظ التبغ[45].

أما بالنسبة للنساء، فإن طريقة ارتداء الملابس عند المحليات من "الحرطانيات" والشلحات لاتختلف عن الطريقة المعتمدة عند نساء الرحل العربيات. كما أن ملابس "الحرطانيات" بتيسينت لاتختلف عما هي عليه في باقي جهات المغرب، حيث تتكون من قطعة قماش وحيدة معقودة على الكتفين ومقبوضة عند الحزام، مع حجاب صغير من الخنت تغطي به النساء وجوههن أمام الرجال أو عند حضور آبائهن. وينتعلن البلغة الحمراء

[45]- نفسه، ص 165.

عند الخروج من المنزل.كما يصبغن وجوههن قليلا، ولا يوشمن بتاتا، ويتحلين بأقراط كبيرة من فضة وإبزيمات من نفس المعدن وعدد كبير من القلادات يطغى عليها العنبر وقطع نقدية من قيمة فرنك وفرنكين وحبات زجاج ومرجان وتيجان من فضة ومرجان وأساوير من القرن وأخيرا بعض الخواتم من فضة[46].

ب. التغذية

اتسم المستوى المعيشي للساكنة التيسينتية في مجمله بالبساطة. يتناولون عند الاستيقاظ في الصباح، الحسو، وحوالي الساعة الحادية عشر يأكلون العصيدة، وفي المساء يتعشون على الطعام واللفت[47]. ويتبين مما سبق أن للحم ليس ضمن البرنامج الغذائي الأساسي سواء لدى العامة أو الأغنياء الذين لا يأكلونه إلا نادرا[48].

وكان لاختلاف المستويات الاجتماعية أثر كبير على المستوى المعيشي للسكان، ويتضح ذلك في استقبال الضيوف الذي لا يغير من البرنامج الغذائي. يقول دوفوكو: " لا يغير وصول الضيوف الوجبة الغذائية العادية كثيرا، عند دخول الضيوف المسكن تقدم لهم سلة من التمور ويتم نفس الشيء قبل طعام المساء. إن كانت العائلة غنية وإن كان الاستقبال يخص ناسا من ذوي مستوى تقدم لهم في الصباح تمور دافئة مع العسل بدل الحسو، إن وجد لبن يشرب حوالي الساعة الثالثة مع تناول تمور بوطوب أو بوفكوس، فيكون هذا لمجة."[49]. أما الشاي فكان يهيأ مرتين في اليوم قبل وجبة الصباح وقبل وجبة المساء"[50].

ج. السكن

---

[46]- نفسه، ص 166

[47] - نفسه، ص 167.

[48] - نفسه، ص 168

[49] - نفسه، ص 168.

[50] - نفسه، ص 168.

لعبت العوامل الطبيعية دورا كبيرا في توجيه البناء العمراني بواحة تيسينت كما هو الحال في سائر واحات جنوب جبل باني، فعظم مواد البناء كانت من المقدار أو من الآجور المشوي تحت حرارة الشمس. أما الجير فهو مخصص أساسا للأضرحة.وتستعمل عوارض النخيل لتسقيف المباني. وتتفاوت المباني حسب الفئات الاجتماعية، فمساكن الفقراء تبنى بالحجارة، في حين تبنى جميع منازل الأغنياء من المقدار.

وعلى مستوى شكل المباني، تتوفر الدور على طابقين سفلي وآخر علوي، ولكل منزل سطح وفناء داخلي. أما الأزقة فهي مغطاة، وضيقة إلى درجة لايمكن للبغال أن تمر في أكثريتها وهي محملة[51].

د. الحياة الدينية والثقافية

كان الورع والتقوى والاعتقاد في الصلحاء والأولياء، وارتفاع المستوى الثقافي، أهم السمات الدينية والثقافية الأساسية التي طبعت المجتمع التيسينتي، ويتضح ذلك من خلال العناصر التالية:

1- انتشار الزوايا والأضرحة: تحدث دوفوكو عن زاوية سيدي علي أوعبد الرحمان بقصر بوموسي؛ ذات المكانة الكبيرة عند بعض الرحل من أولاد يحي. إضافة إلى زاوية سيدي عبد الله أُمحند حيث ضريح سيدي عبد الله أُمحند وابنه سيدي محمد أُوبوبكر. وضريح سيدي إسماعيل قبالة أكادير. وكانت هذه الأضرحة عبارة عن مزارات تشد إليها الرحال من جميع مناطق المغرب خلال المواسم السنوية التي تقام لها، حيث تقدم التبرعات لأفراد سلالة هؤلاء الأولياء[52].

---

[51]-نفسه، ص 164.

[52]- نفسه، ص 163.

ويُلاحَظ في هذا السياق، أن دوفوكو تعامل بنوع من الانتقائية في دراسته للأضرحة والزوايا في المنطقة مركزا على زاوية سيدي عبد الله أمبارك بمغيميمة، والتي زارها يوم 26 دجنبر 1883، وعمرها آنذاك حوالي 150 سنة. ومرد ذلك إلى مكانتها الدينية والاقتصادية، وشهرة ووقار رئيسها آنذاك سيدي عبد الله في جنوب المغرب ما بين درعة وسوس. فهو -يقول دوفوكو- "أشهر وأكثر وقارا في ربوع ما بين درعة وسوس، بعد زاويتي تمكروت وسيدي أحمد أوموسى"[53].

كما قدم دوفوكو عملا تأريخيا دقيقا حول زاوية مغيميمة، على مستوى بنيتها الداخلية، وعلائقها المجتمعية بباقي القبائل، وأدوارها الاجتماعية من إيواء الضيوف وعابري السبيل، وتأمين الطريق، إضافة إلى السلوكات التي تطبع عمل هذه الزاوية[54].

2- الحرص التام لدى أهالي تيسينت على أداء الشعائر والواجبات الدينية، فـــ"لا يوجد إلا قليل من ذوي شيء من اليسر لم يؤد مناسك الحج". بل إن " أداء مناسك الحج طموح جميع سكان الواحة"[55]. وفي مقابل ورع المجتمع التيسينتي المحلي تحدث دوفوكو عن "وثنية" العرب الرحل، وأميتهم الدينية والثقافية، حيث لا حج ولا صلاة ولا قراءة ولا كتابة. بل إن "العمل الديني الوحيد الذي ينجز هو إعطاء بعض النقود للزوايا، وفي هذه الحالة لا ترسل إليها النقود بتاتا، يجب على المرابطين أن يذهبوا بأنفسهم لطلب"الزيارة" في كل دوار الرحل. إن الأمر أسوأ عند إداوبلال، حتى لو أن المرابطين قدموا إليهم فإنهم لايعطونهم شيئا وإن كرر المرابطون طلباتهم فإنهم ينعتونهم بالكسالى ويردونهم على أعقابهم مستهزئين بهم. وعندما يحدثهم المرابطون عن الجهاد، فإنهم يجيبونهم أنهم لا يذهبون إلا حيث يوجد ربح."[56].

3- ساهمت المكانة الاقتصادية والاستقرار البشري بواحة تيسينت في انتعاش الحياة الثقافية وتطور المستوى الفكري بها، فتكونت فئة مثقفة لا

---

[53]- نفسه، ص 211.

[54]- يرجع إلى دوفوكو، م س، ص 213-223.

[55]- نفسه، ص 164.

[56]- نفسه، ص 163- 164.

يستهان بها ممن يعرفون القراءة والكتابة، وهي المرة الأولى التي صادف فيها دوفوكو مغاربة مثقفين خارج فضاء المدن والزوايا[57]. وهكذا صارت تيسينت "أعجوبة وسط عالم الجهل العام"، حسب تعبير دوفوكو.

4. الوضع السياسي وتدبير الشأن المحلي

تندرج تيسينت ضمن الواحات والأطراف البعيدة عن السلطة المخزنية، أو ما كان يعرف في الأدبيات الاستعمارية بـــ"بلاد السيبة". وأمام الفراغ السياسي المخزني بالمنطقة، صارت الواحة بمثابة "كنفدرالية سياسية"، يحظى في ظلها كل قصر من القصور باستقلال في إدارة شؤونه الخاصة، مع العيش في وفاق وتحالف مع بعضها البعض أمام ما يهدد استقرار المنطقة وأمنها. وبفضل هذا الاتفاق استطاعت أن تحقق رخاءها الاقتصادي والاجتماعي.

ورغم أهمية النظام السياسي "الفدرالي" لتيسينت، إلا أنها لم تتمكن من توفير سلطة سياسية مستقلة قوية تقيها من التبعية السياسية لبعض القبائل المجاورة كزناكة وإداوبلال. وهكذا تأرجحت الواحة في تبعيتها السياسية الإسمية بين زناكة وإداوبلال.

فقبل عشرين سنة على زيارة دوفوكو لتيسينت، أي خلال ستينيات القرن التاسع عشر، كانت خاضعة لزناكة، حيث كان للأزناكي مسكن بقصر أكادير، وكانت الواحة كلها تعترف بأولويته[58]. إلا أن تسلط زناكة وتجاوزاتهم، دفع أهالي المنطقة إلى الانتفاض في وجههم، وعقدوا تحالفا مع قبيلة إداوبلال لمواجهة ظلمهم وبطشهم، وبموجب هذا الاتفاق دخلت تيسينت في حماية إداوبلال الذين تمكنوا مع الساكنة المحلية من طرد زناكة و"أرغموهم على مغادرة الواحة وسهل الفيجة في نفس الوقت وأجلوهم حتى أكني"[59].

---

[57] - نفسه، ص 164.
[58] - نفسه، ص 170.
[59] - نفسه، ص 170.

ولم تكن تبعية تيسينت لإداوبلال، الحماة الجدد، ترابية/مجالية، بل إنها إسمية ورمزية فقط. وهذا ما يوضحه دوفوكو في قوله: " سيادة إداوبلال هذه لا تنطوي على أي تدخل لا في الشؤون الداخلية ولا في الشؤون الخارجية للقصور، كل يسير أموره حسب هواه ولا تنطوي حتى على تكوين أحلاف. أن تكون لأهل تيسينت حروب في ما بينهم أو مع الأجانب عنهم فهذا لايهم بتاتا إداوبلال، الواجبات المتبادلة هي تقديم إتاوة سنوية إلى حاميهم بالنسبة لسكان تيسينت متمثلة في حمولة 20 بعيرا وأن يمتنع إداوبلال عن كل أعمال معادية ضد محمييهم. إن أرادت تيسينت أو جزء منها مؤازرة إداوبلال بمناسبة حملة أو حرب دفاعية فسيكون هذا مادة معاهدة خاصة.لم يحدث هذا الأمر منذ طرد زناكة، لم يحاول هؤلاء الرجوع بتاتا، استقر الأمن بينهم"[60].

في حين أن التنظيم السياسي المحلي الفعلي ظلت فيه السلطة لكل قصر من قصور الواحة، وفق تدبير جماعي تسلم فيه السلطة التنفيذية لـــ"إجماعن" أي الجماعة، التي يترأسها شيخ منتخب هو "أمغار". يقول دوفوكو، وهو يحدثنا عن طريقة اختيار الجهة التنفيذية داخل قصور تيسينت:" كل قصر يسير من طرف جماعة ساكنيه التي تسلم السلطة التنفيذية إلى شيخ منتخب من بين أفرادها. ومادام هذا الشيخ يرضي الأكثرية فإنه يحتفظ بلقبه... في هذه القصور تكون الصدارة للعائلة الوفيرة الغنى، بسبب وضعيتها الاجتماعية تكون هذه المكانة وقفا عليها. إن لتفوق شخص على باقي مواطنيه بسبب أخلاقه وثروته فإنه يبقى وبصفة عادية شيخا طول حياته. وفي حالة غياب من يفرض نفسه، يعين أعيان البليدة شيخا للقصر، ويبقى في هذا المنصب حتى اليوم الذي لم يعد يرضي فيه مواطنيه. يحافظ الشيخ على شؤون القصر ويفرض احترام التقاليد داخله ويحمي مصالحه في الخارج. يتقدم الشيخ الركب خلال الصراعات المسلحة."[61].

[60]- نفسه، ص 170.
[61]- نفسه، ص 170.

ويتضح من خلال النص أعلاه، مدى حرص قبائل قصور تيسينت على تفويض تدبير شؤونها المحلية لـــ"أمغار" منتخب وفق معايير محددة، فلا يكفي أن يكون من عائلة ذات النفوذ والثروة في القبيلة أو القصر، وإنما لابد أن يكون كذلك ذا أخلاق عالية ومقبولة لدى الجميع، وأن يلتزم باحترام عادات وتقاليد القصر ومصالحه العليا. ورغم تمتع"أمغار"ببعض الصلاحيات، فإن التسيير يظل جماعيا، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالقضايا الحاسمة مثل الحروب، حيث تجتمع الجماعة وتقرر عندما يتعلق الأمر باتخاذ قرار مهم[62].

ولم يكن "إجماعن"/الجماعة يعتمدون في ممارسة سلطتهم داخل القبائل أو القصور على قوانين مكتوبة، وإنما عبر أعراف وعادات متماشية مع أحوال الساكنة المحلية، ومع الشرع في بعض الجوانب. وهذا ما يستخلص من قول دفوكو:"لم أجد قوانين مكتوبة في أي من القصور الأربعة التي زرتها. تتناقل العادات عن طريق الحديث المتواتر في جميع هذه القصور، وإحدى واجبات الشيخ إلزام الآخرين مراعاة هذه العادات، لاتختلف هذه العادات بالنسبة للمبادئ الأساسية، وتتغير في ما يرجع إلى التفاصيل في كل بليدة "[63].

استنتاج عام

لقد بين استقراء صورة تيسينت في رحلة " التعرف على المغرب " لشارل دوفوكو، نموذجا لتمثل مجتمع الواحات المغربية في عيون الآخر الأجنبي، الذي كان يمهد لاحتلال المجال المغربي ككل. إلا أن تأطير هذه النظرة وهذا التمثل بالنبرة الاستعمارية، لم يكن حائلا أمام فائدتها العلمية، ودقة معطياتها الجغرافية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية وغيرها.بل إن دراسة وتحليل نص" التعرف على المغرب" رسخ الاقتناع الجاد بأن ما توفره الكتابات التاريخية الاستعمارية من مادة تاريخية دسمة

---

[62]- نفسه، ص 171.

[63]- نفسه، ص 171.

حول مغرب ما قبل الاستعمار يظل مصدرا أساسيا لا يمكن تجاوزه في كتابة تاريخ المغرب عامة، وتاريخ البوادي والأطراف خاصة.

الملحق

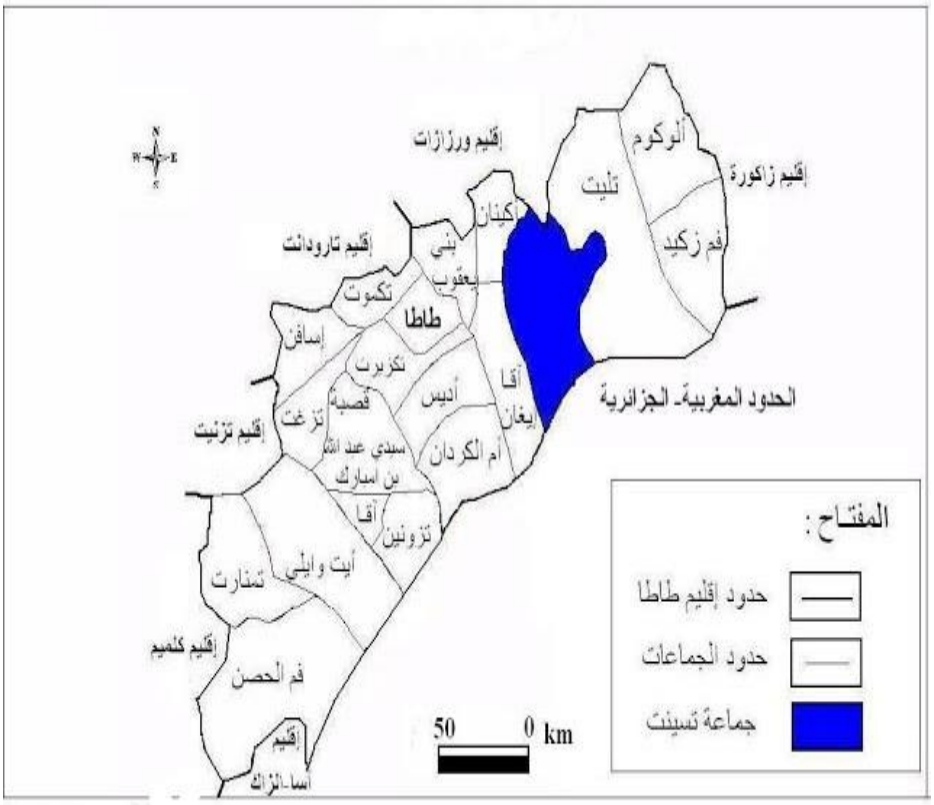

خريطة 1: الموقع الجغرافي لواحة تيسينت

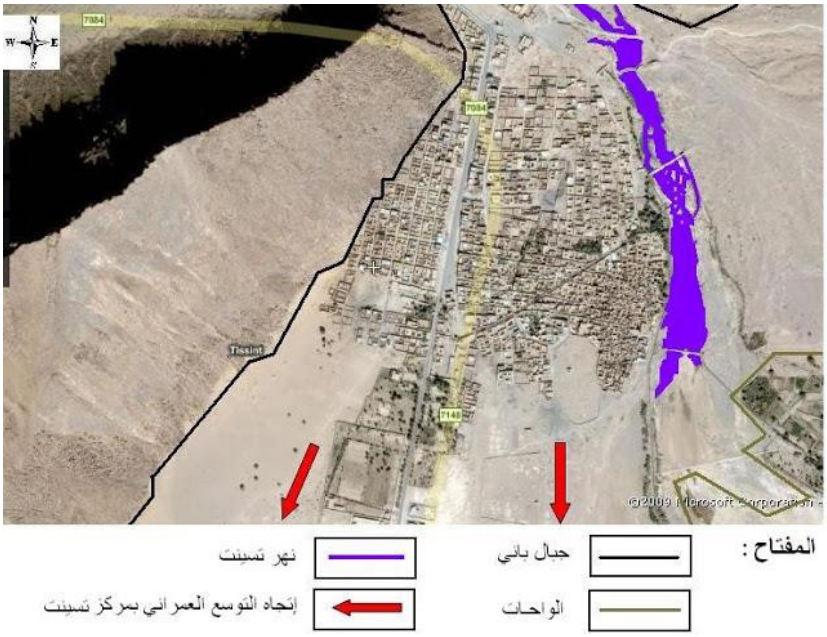

مركز واحة تيسينت

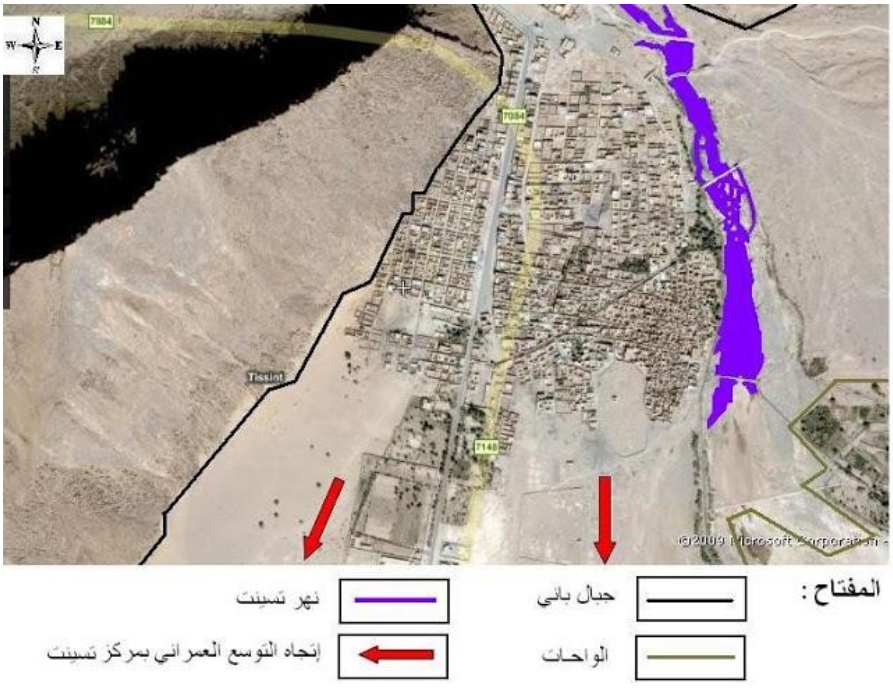

لائحة المصادر والمراجع:

أوسديد، مبارك، "تسينت"، **معلمة المغرب**، ج 8، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1995.

بوزويتة، سمير، **مكر الصورة، المغرب في الكتابات الفرنسية (1832-1912)**، أفريقيا الشرق، الطبعة الأولى 2007.

دوفوكو، شارل، **التعرف على المغرب (1883-1884)**، ترجمة المختار بلعربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1999.

الهروي، الهادي، **القبيلة، الإقطاع والمخزن، مقاربة سوسيولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934**، أفريقيا الشرق، الطبعة الأولى، 2005.

Bazin, René, *Charles de Foucauld, explorateur du Maroc, ermite du sahara,* Paris, 1931.

Bellakhdar, Jamal, et *al*., *Tissint une Oasis du Maroc présaharien*, Editeur Albiruniya, Rabat 1992.

Jean, François, *Vie de Charles de Foucauld,* Edition du seuil, 1962.

Laroui, Abdallah, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830-1912),* 2ème édition, 2001.

مسكوكات طنجة الوسيطية ـ ملامح تاريخية من نقودها ـ
(منذ دخول الإسلام إلى نهاية القرن 3 هـ)

عبد الرحمان أمل
باحث في التاريخ – القنيطرة

Cet article est une contribution à l'histoire économique du Maroc médiéval. Il s'intéresse plus particulièrement à Dar As-Sikkah de Tanger de la conquête musulmane jusqu'au IIIème siècle de l'hégire. Cette institution monétaire qui a été généralement négligée par les sources historiques classiques avait un grand impact sur l'histoire de la ville. Pourtant, des pièces de monnaies frappées à Tanger, durant le règne de la dynastie des Omeyyades et celle des princes Idrissides, nous permettent d'éclaircir ce sujet épineux, poser des questions sur cette période obscure de l'histoire du Maroc et d'interroger les ouvrages classiques sur la validité des événements historiques qu'ils nous ont fournis.

مقدمة

طنجة المدينة الخالدة[1]، ذاع صيتها في مختلف العصور، وأسهمت في رسم مسار الحضارات بالبحر الأبيض المتوسط، فلقد كانت فعلا عروس المتوسط، يرغب كل غريب في احتوائها وبسط سلطته عليها، فتعدد خطابها وطالبو القرب منها، والساعون وراء ودها، ووطئت ترابها أجناس وأقوام، وذبحت على شواطئها آلاف الفرسان، فأصبحت عبر الزمن مدينة الأساطير وكل فريد وعجيب[2]، ونادر وغريب.

---

[1]-لم تكن المصادر القديمة تحدد مجال طنجة بدقة، فطنجة تعني الجزء الشمالي من المغرب الأقصى، كما كان اسم طنجة يطلق على كل الأراضي الواقعة شمال مدينة فاس. - البكري، **المسالك والممالك" الجزء الخاص ببلاد المغرب"**،دراسة وتحقيق، زينب الهكاري، ربا نيت- الرباط، 2012. ص. 208- الهامش: 1282.

[2]- حول بعض الأساطير المتعلقة بنشأة طنجة (تين گا أو تينگي)، وأيضا بخصوص معنى اسمها يمكن الرجوع لمقال: -مصطفى أعشي: **من ميناء ليكسوس إلى ميناء تينگا (طنجة) البحري،**

وقد تخلد ذكرها في التاريخ الذي يستقى من منابع متنوعة، مؤلفات تاريخية ورحلات ومنحوتات... وأيضا مسكوكات، هذه الأخيرة من المؤكد أنها من أفضل الوسائل دعائية لينتشر صيت هذه المدينة أو تلك، فهي في العصور القديمة أهم طريقة إشهارية وإعلامية ليشع اسم الحواضر، وعن طريقها يمرر هذا الحاكم خطاباته وشعاراته. لكن عندما يريد دارس المسكوكات أو التاريخ الاقتصادي التعرف على النقود المضروبة بمدينة طنجة يتفاجأ بقلتها، رغم أنها سكت النقود في الفترات السابقة عن دخول الإسلام أو تلك التي تلته[3]، وكأن لسان حالها يقول بأنها لا تحتاج للإشهار والإعلام بواسطة القطع النقدية، فهي أشهر من نار على علم، وفي غنى عن مسكوكات يمكن أن تعرف بها وتزيد من شهرتها.

وتردد اسم مدينة طنجة في المصادر الجغرافية والتاريخية الوسيطية باستمرار، وسيقت حولها معلومات كثيرة، غير أنها تتكرر في المؤلفات الوسيطية بشكل متشابه ومتناسخ، ما يتسبب في حجب معلومات وافية عن الدارس تسمح بتتبع مسار مدينة طنجة وتاريخها.

وحتى نعطي لهذه الحاضرة حقها، سنحاول أن نتناول بالحديث في مقالنا هذا مؤسسة مهمة في تاريخ المدينة بالعصر الوسيط، والمتعلقة بدار سكتها وما سكته من نقود باسم بعض الأسر التي حكمت المغرب الأقصى، أو بسطت نفوذها على طنجة ومجالها، وسنتتبع نماذج من العملات التي ضربت بطنجة ولصالح من ضربت، وما طبع داخلها من إشارات وعبارات، فربما تساعدنا المعلومات المنقوشة وسط القطع النقدية في كتابة بعض الصفحات من تاريخ مدينة طنجة الذي يشوب بعض مراحله الغموض، فالنقود، كما هو معلوم، من أدق المصادر التاريخية.

1. دار سكة طنجة

ضمن أعمال الأيام الوطنية الثامنة عشر للجمعية المغربية للبحث التاريخي- الدارالبيضاء في 27-29 أكتوبر 2010، الندوة بعنوان: " **المدن المراسي في تاريخ المغرب**"، الطبعة الأولى 2013. صص: 85-106. خاصة ص:97 وما بعدها.

[3]- على الخصوص في العهود القديمة الفترة البونيقية وفي عهد الممالك الموريطانية. ولقد أورد بريط (Brèthes) بعض النماذج مثلا القطعة رقم 275 و رقم 278، وينظر أيضا القطعة النحاسية رقم 47 التي ضربت حوالي أواخر القرن الثاني قبل الميلاد بكتاب: Brèthes , 2006, p : 39.

أثبتت النماذج النقدية المضروبة بمدينة طنجة في المرحلة الوسيطية أن هذه المدينة تتوفر على دار لسك العملة، فاسمها طبع داخل دوائر تلك القطع النقدية[4]، كدليل قاطع لا يقبل الشك على وجود معمل لضرب النقود بين جدران المدينة؛ وما حسمت القطع النقدية القول فيه عجزت المصادر المكتوبة عن إقراره أو نفيه، حيث لم نجد بنصوصها إشارة صريحة ولا تلميحا يشهد بضم مدينة طنجة لدار السكة، هذا الصمت لم يكن ليلغي حضور معمل لضرب النقود بطنجة كما قلنا، فالقطع النقدية وفرت الدليل وصادقت عليه.

ومشكل إمساك القلم بالمصادر المكتوبة، وبسط الكلام بخصوص مؤسسة رسمية مثل دار السكة وضربها للعملة، سلوك يطبعها وتشتهر به كل أنواعها من تاريخية أو جغرافية أو تراجم[5]، والأسباب كثيرة وبعضها معروف. فالسكة من الخطط الدينية[6]، ومن علامات السلطان[7]، وتحتكر السلطة المركزية سك العملة لأنها ضرورية في العبادات والمعاملات[8]، فالعملة حسب محمد الشريف تعبر: «... عن اختيارات سياسية مرتبطة بقضية المشروعية السياسية. فالسكة ليست فقط أداة لنقل الثروة وتلبية الحاجة، وإنما هي أيضا نقل لمظاهر السلطة السياسية ورموزها»[9]. إذن فدار السكة تدخل ضمن أسرار الدولة، وأمنها من أمن النظام، وعليه لا يفصل بشأنها الكلام، وقوة النظام القائم من قوة عملته، فهو الساهر على

---

[4]- سنتناول بالدرس بعض تلك القطع، مع الإشارة للمصنفات أو الدراسات التي وردت فيها.

[5]- لقد تنبه جل الباحثين لذلك الغموض الكبير الذي يكتنف مكان وجود دور السك بالمدن المغربية، وحجم إصداراتها النقدية، ومواردها من المعادن وكيف تتحصل عليها، وعدد العاملين بها، ودرجة نشاطها، وأسباب اختفاء بعضها ... الخ. والحالة هذه تصدق على دار سكة طنجة موضوع الدراسة.

[6]- ابن خلدون، **كتاب العبر والمبتدأ والخبر ...**، ضبط المتن ووضع الحواشي ذ- خليل شحادة، مراجعة، ذ- سهيل الزكار، دار الفكر- بيروت، لبنان، 1421هـ/2001م. ج 1 : 282.

[7]- ابن خلدون ، ج 1، ص. 281.

[8]- العزفي (أبو العباس أحمد السبتي)، **إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد**، تخريج ودراسة : محمد الشريف، السلسلة الأندلسية، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي. 1999م. ص. 26./- محمد الشريف، **مسألة سك العملة بين ابن حزم وأبي العباس العزفي**، ضمن **"نصوص جديدة ودراسات في تاريخ الغرب الإسلامي"**، الطبعة الأولى، تطوان، 1996. ص. 57.

[9]- تقديم محمد الشريف لكتاب العزفي. - العزفي، إثبات ما ليس منه بد، ص. 26-27.

ضبط وزنها وعيارها ليضمن سير المعاملات ؛ لذلك لا توجد لدينا معلومات شافية بخصوص دور السك وطريقة الأعمال الإدارية فيها وكيفية اشتغالها، كما لا نعرف أي مؤلف يتحدث عن تنظيم هذه الدور في تلك الحقبة الأولى من تاريخ المغرب، والمتوفر من كتب يرجع إلى مرحلة لاحقة وهو كتاب **"الدوحة المشتبكة"** لابن يوسف الحكيم والمكتوب في الفترة المرينية،[10].

2. سك العملة بطنجة في العهد الأموي[11]

تؤكد العملات الوسيطية أن النقود سكت بطنجة المراحل الأولى لدخول الإسلام[12]، أي في عهد الخلافة الأموية، فالمدينة كانت من عواصم المغرب الأقصى[13]، واستقر بها عمال بني أمية الذين تباروا في ضرب النقود باسم خلفاء المشرق[14]. ففي كتاب *Les Trésors du Musée de la Monnaie* نماذج

---

[10]- حتى هذا المؤلف المخصص لكيفية عمل دور السك لم يذكر سوى دار سكة سجلماسة خلال حديثه عن غش اليهود(ص.61-62)، وداري سكة فاس بعدوة القرويين والأندلسيين، قبل أن يعمد الخليفة الموحدي الناصر إلى جمعهما بدار أعدها لذلك بقصبة المدينة سنة 600هـ(ص. 51) ونجد **بالبيان المغرب** ذكرا لتأسيس يوسف بن تاشفين لدار سكة مراكش سنة 464هـ/1072م./- الحكيم أبو الحسن علي بن يوسف، **الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة**، تحقيق، حسين مؤنس، منشورات معهد المنشورات الإسلامية بمدريد، الطبعة الأولى، مدريد 1960/1379./- ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان. الطبعة الثالثة، 1983، ج 4: 22.

[11]- حسب ابن عبد الحكم فموسى بن نصير هو أول من دخل طنجة من ولاة بني أمية: « ويقال: إن موسى بن نصير خرج من إفريقية غازيا إلى طنجة، **وهو أول من نزل طنجة من الولاة**».- ابن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر 49، ج 1. ص. 276./- قدامة بن جعفر، **الخراج وصناعة الكتابة**، شرح وتحقيق محمد حسين الزيدي، العراق، دار الرشيد للنشر، 1981، ص. 349.

[12]- اعتبرت من دور ضرب النقود" الفلوس" باسم بني أمية.- إبراهيم القاسم رحاحلة، **النقود ودور الضرب في الإسلام في القرنين الأولين** 132- 365هـ/ 749-975م، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة. 1999. ص. 104-105.

[13]- ومن بين عمالها كما ذكر ابن عبد الحكم طارق بن زياد: « ثم أن موسى عزل الذي كان استعمله على طنجة، وولى **طارق بن زياد**، تم انصرف إلى القيروان ...». وفي **البيان** فإن ولاية طارق على طنجة والمغرب الأقصى كانت في سنة85هـ./- ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ج 1. ص. 276./- ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان. الطبعة الثالثة، 1983، ج 1.ص. 44.

[14]- ويقول في ذلك أوسطاش: « فعمال أمويي المشرق ضربوا بطنجة نقودا برونزية صغيرة من صنوف هجينة توجد بها صور ملكية أو رموز قديمة مشوهة. كما ضربوا فلوسا عربية صغيرة

نقدية ضربها عمال بني أمية[15]، هناك مثلا فلس ضرب بطنجة نقش بداخل وجهه[16]: محمد- رسول الله، وبظهره: طبعت نجمة خماسية[17]، والقطعة تعود للفترة الممتدة بين 86-99هـ/705-718م[18]. هذه المرحلة تزامنت مع ولاية موسى بن نصير على الغرب الإسلامي (86-95هـ)[19]، ومن بعده ولاية **محمد بن يزيد القرشي** (97-99هـ)[20]، ومن المرجح أن يكون أحد نواب الوالي الجديد بالمغرب الأقصى قد أشرف على ضرب هذه القطع بمدينة طنجة، ما يدل على أن الولاة والعمال كان يسمح لهم من قبل الخلفاء بضرب السكة في مجالات حكمهم، خاصة العملة غير الذهبية والفضية، أي النقود الصغيرة من نحاسية أو فلوس[21]، حيث إن: «ضرب الذهب من

الحجم وعليها الشهادتان». ينظر أيضا صورة الفلس الأموي الذي ضرب بطنجة.- أوسطاش دنيال، **تاريخ النقود الإسلامية وموازينها في المشرق وبلاد المغارب منذ البدايات الأولى إلى الآن**، ترجمة محمد معتصم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: نصوص وأعمال مترجمة رقم 14. الطبعة الأولى، 2011/1423. ص. 69.

[15]- قدم بريط (Brèthes) بمصنفه العديد من القطع التي سكت بمدينة طنجة من قبل عمال خلفاء المشرق، تتضمن شهادة التوحيد (لا إله إلا الله وحده) والرسالة المحمدية (محمد رسول الله).

- Brèthes, Contribution à l'histoire du Maroc, pièces N° 331- 332-333…346. Pp : 38-39.

[16]- نشر بريط (Brèthes) قطعة مشابهة، نقشت بها عبارة: لا إله- إلا الله- وحده، وأيضا النجمة الخماسية (Sceau de Saloman).

- Brèthes, Contribution à l'histoire du Maroc, pièce N° 343. p. 39.

[17] - Les Trésors du Musée, pièce N° 136. p : 82.

[18]- توجد قطع عديدة نسبت لعمال بني أمية سكت بطنجة، القطع رقم: 134-135-136-137-138-139-140-141-142-143-144.

- Les Trésors du Musée, p : 82-83-84.

[19]- عرض لافوا (Lavoix) قطعتين سكتا بطنجة نسبهما لموسى بن نصير.

- Lavoix (Henri), 1887. Pièces N° 125-126. p. 43- 44.

[20]- عند ابن عذاري أنه تولى سنة 97هـ، كما ذكر ابن الأثير توليته في أحداث سنة 97هـ. أما الرقيق القيرواني فيذكر في تاريخه سنة 99هـ./- ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج 1 : 47./- ابن الأثير عز الدين، **الكامل في التاريخ**، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى. 1407هـ-1987م. ج 4. ص. 300./- الرقيق القيرواني، **تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق، عبد الله العلمي الزيدان وعزالدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان، الطبعة الأولى. 1990. ص. 58./- عزاوي أحمد، **مختصر في تاريخ الغرب الإسلامي**، الجزء الأول، طبعة ثانية. 2009. الرباط. ص. 55.

[21]- جعيط هشام، **تأسيس الغرب الإسلامي، القرن الأول والثاني هـ/ السابع والثامن م**. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2004. ص. 65.

امتيازات الخليفة... أما الفضة فيتولى النظر فيها العمال»[22]. فهؤلاء العمال كانوا مجبرين على أن تتوفر لديهم النقود باستمرار، خاصة عندما يتعلق الأمر بتأدية رواتب الجند، ما أرغمهم على ضرورة إنشاء دور لسك العملة، ومن ضمنها معمل مدينة طنجة[23].

ونصادف فلسا آخر ضرب بطنجة نقش بمركز الوجه: لا إله- إلا الله- وحده، وبدائرته توجد عبارات باللغة اللاتينية[24] "*Domine Deus quistibi similis*"[25]، وبمركز الظهر: لا إله- إلا الله- وحده محمد- رسول الله؛ وبالطوق: لا إله- إلا الله- وحده[26]. وعبارة شهادة التوحيد (لا إله إلا الله وحده) والرسالة المحمدية (محمد رسول الله)، التي تضمنتها هذه القطعة ستصبح ميزة عامة للمسكوكات المغربية الوسيطية، وكتابتها بداخل العملات أمر شبه مسلم به.

[22]- أوسطاش، تاريخ النقود الإسلامية، ص. 54.

[23]- Brèthes, Contribution à l'histoire du Maroc, p : 71.

[24]- هذه المرحلة تميزت بسك النقود اللاتينية- العربية Monnaies Latino Arabes.

[25]- نقشت عبارة لاتينية مشابهة لما ضرب بهذا الفلس بطنجة، لكن داخل دنانير ضربت بإفريقية فيما بين سنتي 85 و95هـ/704 و 714م، أي تقريبا بنفس الفترة. ونقش عليها: "*N*on est deus nisiunuscui *similis* non est alius" ومعناها: [لا إلـه إلا الله وحـده، لا شـبيه لـه].- أوسـطاش، تـاريخ النقـود الإسلامية، ص. 47.

[26]- نشر لافوا Lavoix قطعا ضربت بطنجة ربما في نفس المرحلة ونسب بعضها لموسى بـن نصـير (القطعة رقم 126-125)، وتتضمن عبارات مشابهة لهذه القطعة المنشورة في كتاب *Les Trésors du Musée de la Monnaie*. كما أن القطع التي سبق وأشرنا إليها والتـي أورد بـريط تحتـوي علـى نفـس العبارة اللاتينية.

فلس أموي ضرب بطنجة[27]

وهنا نتساءل بشأن ما نقش في هذه القطعة، هل عملية تعريب النقود التي أطلقها الخليفة **عبد الملك بن مروان** (65-86هـ/ 685-705م) بالمشرق[28]، وما أحدثته من انقلاب في النظم المالية والاقتصادية التي كانت سائدة آنذاك في العصر الوسيط، كانت لا تزال مستمرة بالمغرب الأقصى؟ خاصة وأن هذه القطع المذكورة قد ضربت بعد وفاة عبد الملك بن مروان. والظاهر أن عمال أمويي المشرق كانوا يستعملون القطع البيزنطية القديمة، ويعيدون الضرب فوقها، ويوظفون داخلها بعض الشعارات والعبارات الإسلامية خاصة الشهادة، فهل سمح لهم الخلفاء الأمويون بذلك وتركوا لهم الخيار، خاصة بعد قرار الخليفة عبد الملك بن مروان بتوقيف التعامل بالسكة البيزنطية وتداولها، والاكتفاء بالنقود العربية المحضة؟

وتستمر مدينة طنجة في إصداراتها، فتوجد صورة أخرى لفلس ضرب بها يحمل اسم الخليفة **هشام بن عبد المالك** (105-125هـ/724-743م)[29]، وأثناء فترة حكمه تعدد الولاة على إفريقية والمغرب، فكان **يزيد بن أبي مسلم** (102هـ)[30]، **وبشر بن صفوان** (102-109هـ)[31]، و**عبيدة بن عبد**

---

[27]- Les Trésors du Musée, p : 83. Pièce N°, 138.

[28]- كما هو معروف بواسطة المصادر التاريخية والقطع النقدية، فالخليفة الأموي عبد الملك بن مروان هو أول من أشرف على تعريب " الإصلاح" السكة والدواوين، وذلك من أجل إضفاء الطابع الإسلامي على جميع مؤسسات الدولة الإدارية والمالية منها، وترسيخ الاستقلال المالي للدولة الإسلامية بقطع كل تعامل بالدنانير البيزنطية والدراهم الساسانية. ينظر مثلا:- المقريزي، شذور العقود في ذكر النقود، بمجلة هسبيريس. وبخصوص هذا الإصلاح النقدي يمكن الرجوع للدوري، **تاريخ الاقتصاد العراقي في القرن الرابع الهجري**، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة، بيروت، 1995. ص. 236 وما بعدها.

- Eustache Daniel, 1969, p : 107.

[29]- القطعة غير واضحة المعالم ومتآكلة الأطراف، لهذا لم تتم الإشارة لما يوجد داخلها من عبارات.

- Les Trésors du Musée, p : 87.

[30]- أراد أن يوشم في يد حرسه من البربر أسماءهم وكلمتي حرس، كما كان يفعل ملوك الروم فقتلوه.- قدامة بن جعفر، **الخراج**، ص. 346./- البلاذري، **فتوح البلدان**، اختار النصوص وعلق عليها وقدم لها شوقي أبو خليل، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، دمشق، 1997. ص. 317-318./- القيرواني، **تاريخ إفريقية**، ص. 64./- هاشم العلوي القاسمي، **مجتمع المغرب الأقصى، حتى منتصف القرن الرابع الهجري - منتصف القرن العاشر الميلادي**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1415هـ - 1995م. الجزء 1، ص. 189.

الرحمن السلمي (110-114هـ)[32]، **وعبيد الله بن الحبحاب** (116-123هـ)، والذي خلال ولايته يذكر ابن عذاري أسماء بعض عماله على طنجة: «... واستعمل على الأندلس عقبة ابن الحجاج السلولي؛ واستعمل على طنجة وما والاها من المغرب الأقصى ابنه **إسماعيل** ؛ ثم **عمر بن عبيد الله المرادي**»[33].

وخلال مرحلة تعاقب الولاة نجد بمصنف لاين بول (Lane Poole) قطعة أخرى ضربت سنة 104هـ، نقش بالوجه منها: سنة أربع- لا اله الا الله وحده. وبالظهر: ضرب بطنجة- محمد رسول الله [34]، أي خلال مرحلة ولاية بشر بن صفوان. ومن المحتمل أن تكون القطعة المشار إليها والمنسوبة للخليفة هشام بن عبد الملك من آخر مسكوكات بني أمية بالمغرب الأقصى وبمدينة طنجة، حيث توقف إصدار مدينة طنجة النقود باسم أمويي المشرق، بسبب ما عرفته المنطقة من اضطرابات ومشاكل. ويتضح ذلك جراء السياسة الاستنزافية التي نهجتها الخلافة الأموية وولاتها[35]، ففي نفس الفترة أساء عامل ابن الحبحاب على طنجة والمغرب عمر بن عبيد الله المرادي السيرة، وأراد تخميس البربر الذين ثاروا عليه بالمغرب الأقصى بقيادة ميسرة المطغري سنة 122هـ/739م وقتلوه[36]. فكان اندلاع ثورة الصفرية إيذانا على بداية خروج المغرب الأقصى من التبعية للخلافة بدمشق[37]، حيث امتدت عاصفة الخوارج إلى المغرب وبدأت تتوالى

---

[31]- قدامة، **الخراج**، ص. 346./- البلاذري، **فتوح البلدان**، ص.318./- **البيان المغرب**، ج 1 : 49./- القيرواني، **تاريخ إفريقية**، ص. 66.

[32]- اسمه عند صاحب كتاب الخراج " عبد الله بن عبد الرحمن القيسي". – قدامة، الخراج، ص. 347./- البلاذري، **فتوح البلدان**، ص. 318/- البيان، ج 1. ص. 50-51./- القيرواني، تاريخ إفريقية، ص. 68-69.

[33]- البيان، ج 1. ص. 51./- القيرواني، تاريخ إفريقية، ص. 72-73.

[34] - Lane, 1875. p : 189.

[35]- حيث عمد الولاة إلى تطبيق سياسة تعسفية مع الأهالي بمنطقة الغرب الإسلامي، لتلبية رغبات الخلفاء بدمشق.- هاشم العلوي، **مجمتع المغرب الأقصى**، ج 1 : 192.

[36]- البيان، نفسه. ص. 52./- القيرواني، تاريخ إفريقية، ص. 73./- محمود إسماعيل، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، الدارالبيضاء، المغرب. الطبعة الثانية 1985/1406. ص.60./- هاشم العلوي، **مجمتع المغرب الأقصى**، ج 1 : 162-193.

[37]- للمزيد من المعلومات يمكن الرجوع لمحمود إسماعيل وما كتبه من صفحات حول ثورة الخوارج الصفرية وهوامش تلك الصفحات. - محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، صص.

هجراتهم إليه[38]، فانتشر المعتزلة في أرضه وأخذ نفوذهم يقوى فيه، وتركزوا بطنجة ووليلي[39]، فكانت مدينة طنجة من عواصمهم بالغرب الإسلامي وبالمغرب الأقصى على الخصوص، هذه الثورات جعلت مقام عمال خلفاء المشرق بالمغرب الأقصى أمرا صعبا ومنالا شاقا، فعرف المغرب حينها ظهور الإمارات المستقلة[40].

ويبدو أن وجود المعتزلة بمدينة طنجة قد استمر إلى غاية دخول إدريس الأكبر إلى المغرب، فهي مقرهم كما يذكر قدامة بن جعفر في كتاب الخراج : «... ووراء تاهرت مسيرة أربعة وعشرين يوما بلد المعتزلة وعليهم رئيس عادل وعدلهم فائض وسيرتهم حميدة ودارهم **طنجة** ونواحيها والمستولي عليها في هذا الوقت ولد محمد بن إدريس بن عبد الله ابن حسن ...»[41]. فأهمية المدينة لم تكن مرتبطة بكونها قاعدة للمعتزلة، بل لأنها على حد قول ابن أبي زرع قاعدة بلاد المغرب وأم مدنه وأعظم مدينة به[42].

إذن تسببت هذه القلاقل في توقف سيطرة أمويي المشرق على المغرب الأقصى، وفي سك العملة لفائدتهم أيضا، وملابسات هذا الأمر كما يتبين تداخل فيها السياسي بالاقتصادي بالاجتماعي بالمذهبي، وقراءة الوضع بالمنطقة بتجاهل أحد هذه التفاعلات يؤدي إلى استنتاجات خاطئة أو ناقصة. ونشير هنا أيضا إلى أننا لا نتوفر على نصوص تاريخية شافية تظهر الوضع الجديد الذي عاشته مدينة طنجة في ظل هذا التحول[43]. ونفس

.62-81

[38]- محمد بن تاويت، فجر العربية بالمغرب الأقصى أو المراكز الأولى للثقافة العربية به، مجلة **دعوة الحق**، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، العدد 8، السنة 11. 1388-1968. ص. 95.

[39]- نفسه، ص. 96.

[40]- يمكن الاستئناس بما كتبه عزاوي في الفصل الثالث من مختصره في تاريخ الغرب الإسلامي، والذي يحمل عنوان "عصر الإمارات المستقلة". – عزاوي، **مختصر في تاريخ الغرب الإسلامي** ، ج 1 : 70-153.

[41]- - قدامة بن جعفر، **الخراج**، ص. 200./، ملحق بكتاب " **المسالك والممالك**" لابن خرداذبة. ليدن، 1306 ص. 265-266.

[42]- ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، راجعه عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1420هـ/1999م.ص. 21.

[43]- لم نتعرض في هذا المقال المخصص لدار سكة طنجة لكل تلك الأبعاد، فهمنا تركز على ما

الملاحظة تهم القطع النقدية، حيت لم نجد بالمصنفات والدراسات الخاصة بالعملات التي تحت أيدينا أي نماذج ضربت بطنجة تنسب لأحد زعماء الخوارج أثناء هذه المرحلة المدروسة.

3. سك العملة بطنجة في العهد الإدريسي

خرج المغرب الأقصى من التبعية للخلافة الأموية والعباسية بالمشرق، ودخل الجزء الأكبر منه تحت سيادة دولة جديدة، هي الدولة الإدريسية وذلك منذ قدوم إدريس بن عبد الله إليه سنة 172هـ/788م، واستقراره بمدينة وليلي وأخذ البيعة له من قبل زعيم أوربة إسحاق بن محمد بن عبد الحميد[44]، ومن حينها بدأت الحملات الإدريسية لتوسيع مجال نفوذ إمارتهم، ونظرا لأهمية طنجة الإستراتيجية فإنها ستدخل طبعا ضمن حساباتهم السياسية. والأكيد أن السباق والتنافس الخفي بين أدارسة المغرب الأقصى وأمويي الأندلس حول هذا المعبر الحيوي قد انطلقت شرارته الأولى خلال هذه المرحلة المبكرة لتأسيس الإمارتين.

وقد أنتجت دار سكة طنجة عملات باسم الأدارسة دليلا على انخراطها في برنامجهم السياسي والمالي، لكن لا نتوفر على قطع نقدية تحمل اسم مؤسس الدولة الإدريسية، والغالب أن المدينة لم تدخل تحت سيادته، حيث إن المدة التي قضاها إدريس الأكبر في الحكم قصيرة جدا (172-175هـ/788-791م)، مما لم يسمح له ببسط سيطرته على مناطق المغرب الشمالي كلها. فمحدودية المجال وتعدد المنافسين دفع بإدريس بن إدريس بمجرد تقلده للسلطة (187-213هـ/803-828م)، إلى مواصلة عمل أبيه في

أصدره معمل طنجة الوسيطية من نقود فقط تجنبا للإطالة.

[44]- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص. 23./- ابن خلدون، كتاب العبر.... ج 4 : 17/- عزاوي، مختصر في تاريخ الغرب **الإسلامي**، 1: 118./- سعدون عباس نصر الله، **دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي 172-223هـ/788-835م**، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ- 1987م. ص. 71.

توسيع مجال نفوذ الإمارة الإدرسية، وهنا نجد علامات راسخة بالنماذج النقدية بشأن تبعية مدينة طنجة للأمير الشاب، عكس ما سجلناه بخصوص ولائها لأبيه، فهناك درهم ضرب بالمدينة سنة 198هـ/813-14م، نقش بداخلها[45]:

ادريس	لا اله الا
محمد	الله وحده
رسول	لاشريك له
الله	على
على	...[**بطنجة**]**سنة ثمان**
محمد رسول الله أرسله بالهدى	**وتسعين ومئة**
(ى) ...	

صورة درهم منسوب لإدريس الثاني ضرب بطنجة سنة 198هـ/813-14م[46]

وسبق أن نشر لافوا Lavoix بمصنفه قطعة لإدريس بن إدريس تحمل نفس التاريخ[47]، ومشابهة لهذه القطعة التي نشرها أوسطاشEustache بجامعه

[45]- Eustache, 2008, p : 203.

[46]-Eustache, 1969.

للنقود الإدريسية، بالرغم من شكه بخصوص مكان الضرب[48]، وناقش أوسطاش هذا الأمر بتحليله للكيفية التي نقشت ورسمت بها كلمة "طنجة" داخل تلك القطعة، ليخلص في النهاية بأن الأمر يتعلق فعلا بمدينة طنجة [49].

وسكت في طنجة دراهم أخرى باسم إدريس الثاني وفي فترات مختلفة، فهناك درهم ضرب سنة 206هـ/821م[50]، نقشت داخله نفس الديباجة المشار إليها سابقا[51]. مما يعني أنها لعبت دورا مهما في الحياة الاقتصادية والمالية للدولة الإدريسية، فمدينة طنجة تتوفر على كل المؤهلات للقيام بهذه المهمة، فهي تطل على واجهتين بحريتين، ومعبر حيوي نحو الضفة الأندلسية، وقبلة لمختلف العمليات التجارية، أي أن أدوارها متعددة ومتداخلة بين السياسي والتجاري والعسكري ... الخ، ما سمح لها بالبروز كواحدة من أهم حواضر الدولة الإدريسية.

---

[47] - Lavoix (Henri), 1891. p : 381.

[48]- قدم لافوا Lavoix وصفه لهذه القطعة بكلمة **"Incertaine"**، أي أنه انتابه شك حول موضع سك هذه القطعة.

- Lavoix , Catalogue des monnaies, p : 381.

[49]- Eustache , 1969, p : 145.

[50]- سبق أن أورد بريط قطعة ضربت أيضا سنة 206هـ بطنجة.

- Brèthes, Contribution à l'histoire du Maroc, pièce N° 645. P : 79.

[51]- Les Trésors du Musée, p : 95.

صورة درهم لإدريس الثاني ضرب بطنجة سنة 206هـ/851م[52]

وبموت الأمير إدريس الثاني دخل المغرب الأقصى مرحلة ثانية أثناء حكم ابنه محمد (213- 221هـ/828-836م)، خاصة بعد إقدامه على تقسيم البلاد إلى ولايات جاعلا على رأس كل واحدة منها أحد إخوته، حيث « ولى أخاه **القاسم** مدينة **طنجة** وسبتة وقلعة حجر النسر ومدينة تطوان وبلاد مصمودة وما إلى ذلك من البلاد والقبائل...»[53]. وتكتمل صورة التقسيم المذكورة بالمصادر الكلاسيكية، بما أمدتنا به من نماذج نقدية تؤكد على سك القاسم بن إدريس عملاته بمدينة طنجة[54]، أو بالمناطق التي دخلت تحت ولاياته مثل سبتة[55]. ويبدو أن هذه القطع المضروبة بطنجة يرد بها تاريخان مهمان؛ أولهما هو 238هـ/ 852م[56]، وثانيهما هو 251 هـ/865م[57]؛ ويشير معمري في كتابه إلى أن هذه القطع فريدة من نوعها، إذ لا نتوفر بباقي المصنفات النقدية على نقود تنسب لهذا الأمير الإدريسي حسب رأيه، وعلق على المسألة بكون قطعة طنجة وسبتة هما النموذجان المعروفان لهذا الأمير[58].

نشاطر معمري الرأي بشأن قلة القطع النقدية المنسوبة للأمير القاسم بن إدريس، ونشير إلى أن تلك التي أدرجها في كتابه ليست الوحيدة المنسوبة

---

[52]- Les Trésors du Musée, p : 95.

[53]- هناك اختلاف في التقسيم، بين كل من البكري وابن أبي زرع الذي طابقت معلوماته ما ورد بالاستقصا، حول باقي المناطق ومن تولى أمرها من أبناء إدريس ينظر: - ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص 62-36-64-65./- البكري، **المسالك والممالك**،ص. 235/- البيان المغرب، ج 1 : 211./- ابن خلدون، **كتاب العبر**.... 4: 19./ - ابن الخطيب، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق وتعليق، أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء. 1964. ص. 202-203./- ابن القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973. ص. 203./- الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، دار الكتاب، الدار البيضاء. 1954. ج 1 : 172.

[54] - Maamri, *Monnaies inédites des Idrissides*, Editions Post-Modernité. Fès, 2006. P : 60.

[55]- Maamri, Monnaies inédites, p : 61.

[56]- Maamri, Monnaies inédites, p : 138-139.

[57] - Maamri, op cit, p : 60.

[58]- Maamri,op cit, p : 61.

إليه، حيث سبق أن نشر أوسطاش بجامعه حول المسكوكات الإدريسية بعض القطع التي ضربها القاسم بن إدريس، وربما يتعلق الأمر بمكان السك، وهذا صحيح، فالقطع المتوفرة تهم مصانع مختلفة وفريدة، سواء فيما يخص النماذج المذكورة عند أوسطاش أو معمري.

ويُسجل أن قطعة طنجة تتضمن تقريبا نفس العبارات المنقوشة بداخل القطع الإدريسية السالفة الذكر، مع اختلاف في الحجم والوزن[59]. حيث ضُرب بداخلها:

لا اله الا	محمد
الله وحده	رسول الله
لاشريك له	**القاسم بن إدريس**

- بسم الله ضرب هذا الدرهم بطنجة سنة **إحدى وخمسين (ومائتان)**[60]
- محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهر على الدين كله ...[61].

تثير هذه القطعة جملة من المشاكل والتساؤلات، فإذا صحت قراءة معمري بخصوص سنة سكها وصاحبها[62]، فإنها ستجعلنا نتعامل مع ما ورد بالمصادر التاريخية بكثير من الحذر، فجل المؤلفات التاريخية تؤكد على كون والي طنجة القاسم بن إدريس رفض الامتثال لأوامر أخيه الأكبر محمد بمحاربة أخيهما عيسى صاحب منطقة تامسنا[63]، فأرسل لمحاربتهما أخاهما عمر والي غمارة، الذي بعد هزمه عيسى، سار بجيوشه إلى طنجة لقتال أخيه القاسم، الذي انهزم واحتوى عمر على ما كان بيده من البلاد[64]. ويفهم

---

[59] - Maamri,op cit, p : 61.

[60] - هكذا وردت عند معمري، والأصوب هو (ومائتين).

- Maamri,op cit, p : 60.

[61]- Maamri,op cit, p : 60.

[62]- نؤكد مرة أخرى على أن المعلومات المضروبة بالقطع النقدية أكثر مصداقية، خاصة إذا كانت واضحة الحروف.

[63]- تؤرخ هذه المرحلة لبداية الصراع داخل الأسرة الإدريسية، وهذا التنافر لم يتوقف إلا مع نهاية دولتهم. وسنعاين خلال مقالنا بعض مراحل هذا الصراع الأسري.

[64]- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص. 66./- ابن خلدون، **كتاب العبر**.... 4: 19./- **الاستقصا**، 1: 173./- ابن القاضي، **جذوة الاقتباس**، ص. 204. /- محمود إسماعيل، **الأدارسة (172-375هـ) حقائق جديدة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991م. ص. 81/- سعدون عباس،

من كلام ابن أبي زرع[65] أن القاسم بعد هزيمته قد اعتزل أمر السياسة وزهد في الدنيا وانزوى عند ساحل بحر مدينة أصيلة للتعبد، «وسار القاسم إلى ساحل البحر مما يلي مدينة أصيلة، فبنى هنالك مسجدا على ضفة النهر بموضع يعرف بتاهدارت، فأقام يتعبد فيه وزهد في الدنيا إلى أن مات رحمه الله تعالى»[66]. أي أنه قد عزل من منصبه ومن ولاية مدينة طنجة في حياة أخويه عمر الذي هزمه والمتوفي سنة 220هـ/235م، ومحمد الأكبر الإمام بفاس والذي وافته المنية سنة 221 هـ/ 836م. كيف يمكن إذن للقاسم أن يسك قطعا نقدية تحمل اسمه وتاريخين مختلفين عن وفاة أخويه، ضربت الأولى سنة 238هـ/ 852م، وأخرى سنة 251 هـ/865م؟[67].

جلي أن المصادر التاريخية قد تجنبت الكلام عن الحياة السياسية للقاسم بن إدريس خاصة بعد هذا الحدث[68]، لكن الدراهم التي ضربت باسمه تمدد حياته السياسية، إلى ما بعد تاريخ هزيمته وتنحيته من تسيير طنجة ومجالها، فهناك قطعة نسبت إليه ضربت سنة 254هـ/ 868م[69]، رغم أن مكان ضربها غير واضح[70].

وتواصل النماذج النقدية المنسوبة للقاسم بمدنا بتواريخ غاية في الأهمية، فيشير أوسطاش إلى سك القاسم بن إدريس لقطعة بالبصرة سنة

دولة الأدارسة، ص. 109-110.

[65]- أوردها البكري.- البكري، **المسالك والممالك**، ص. 236.

[66]- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص. 66.- ابن خلدون، **كتاب العبر**.... 4: 19.- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص. 206.- ابن القاضي، **جذوة الاقتباس**، ص. 204.- **الاستقصا**، 1: 173.- سعدون عباس، **دولة الأدارسة**، ص. 110-111.

[67] صور القطع التي اعتمدها معمري غير واضحة تماما، ما يجعلنا نطرح هذه التساؤلات.

[68]- ذهبت مجمل الدراسات على منواله،ا وكررت ما ذكرته تلك المصادر، بخصوص توقف الحياة السياسة للقاسم بن إدريس بعد هزيمته، وهذا مخالف للحقيقة كما سيتبين لنا.

[69]- صدقي محمد، **الأدارسة من النشأة إلى التجزئة 172هـ/788م- 319هـ/931م**، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، السنة الجامعية 1408-1408هـ/ 1988-1989م، ص. 301.

- Eustache, Corpus des dirhams Idrisites, p : 111.

[70]- بالرجوع لصورة القطعة (PL XXIX bis) يلاحظ وجود ثقب بها ما يحجب التعرف على بعض الحروف.

- Eustache, Corpus, op cit, p : 280.

245هـ/859م[71]، وزامن ذلك حكم يحيى الأول بن محمد (234-249هـ/849-863م)[72]. وفي نفس الاتجاه يمدنا أيضا المعمري بقطع تنسب للقاسم بن إدريس؛ الأولى واضح تاريخ ضربها، وقد سكت بطنجة كما أسلفنا، والثانية ضربت بسبتة من طرف هذا الأمير الإدريسي، إلا أن تاريخ الضرب غير واضح[73].

لقد ألمحنا سابقا إلى صمت جميع النصوص الكلاسيكية حول هذه المرحلة الحساسة من تاريخ الإمارة الإدريسية، وعدم فسحها المقال في ما وقع بين أبناء إدريس، وما السبب في تمرد عيسى، الذي حصرته في خلع الطاعة والخروج عن وصاية أخيه محمد وإعلان استقلاله بولايته[74]، وهو ما يجعل المعطيات الواردة في لقطع النقدية المنسوبة للقاسم بن إدريس شبه شاردة وخارج السياق التاريخي المعروف والمتداول[75]؛ لكن إعادة استنطاق وقراءة نفس المصادر ومقارنة نصوصها بما نقش داخل القطع النقدية، تفصح عن حقائق جديدة. وقد ذكرت تلك الإشارات والإفادات بمصدرين أندلسيين معروفين؛ تتعلق الأولى بدخول مدينة البصرة تحت سيادة القاسم بن إدريس حسب التقسيم الذي أورده كل من البكري وابن الأبار[76]، مخالفين

---

[71] - Eustache, Corpus, op cit, p : 120.

[72]- يشير أوسطاش إلى كون القطعة لا تتضمن اسم "علي" الذي تميزت بـه المسكوكات الإدريسية. أنظر صورة القطعة (Pl. I).

- Eustache, Corpus, op cit, p : 185.

[73]- Maamri, Monnaies inédites, p : 61.

[74]- **البيان المغرب**، ج 1 : 211./- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص. 65./- ابن خلدون، **كتاب العبر**.... 4: 19./- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص.205-206./- ابن القاضي، **جذوة الاقتباس**، ص. 203./- **الاستقصا**، 1: 173./- محمود إسماعيل، **الأدارسة**، ص. 81./- سعدون عباس، **دولة الأدارسة**، ص. 108.

[75]- أمام صمت المصادر حاول أوسطاش تقديم افتراضات حول دوافع خروج عيسى عن أخيه محمد اعتمادا على ما نقش بالقطع النقدية، فعلل ذلك بكون محمد الوصي على آل إدريس كان يحتكر ضرب النقود، وحرمت باقي المصانع من أحقية سك العملات باسم إخوته، واستثنى من ذلك معمل وزقور التابع لعيسى لأنه استفاد من تحكمه في معدن الفضة بمنطقته، فامتنع الأمير عيسى على إمداد فاس ودار سكتها العالية بحاجياتها من الفضة، فكان ذلك سببا في خروجه على أخيه الأكبر محمد وحدد تاريخ هذا التمرد في سنة 215هـ/830م.- أوسطاش دنيال، **الجامع في الدراهم الإدريسية**، نشرة جمعية تاريخ المغرب، العدد 2، 1969. ص. 29./- عزاوي، مختصر في تاريخ، ج 1 : 123.

- Eustache, Corpus des dirhams Idrisites: 45.

[76]- البكري، **المسالك والممالك**، ص. 235/- ابن الأبار، **الحلة السيراء**، حققه وعلق على حواشيه

بذلك ما جاء عند صاحبي **روض القرطاس** و**الاستقصا**، اللذين جعلا البصرة من نصيب يحيى[77]. والظاهر أن إفادة البكري وابن الأبار صحيحة، فبالرجوع للمسكوكات النقدية نجد قطعة منسوبة للقاسم ضربت بمدينة البصرة سنة 245هـ/859م[78]، وهو ما يدل على دخول مدينة البصرة تحت نفوذه، بجانب طنجة وأصيلا وغيرهما من المناطق الشمالية.

وفي هذا المقام يشير صدقي (1988-1998) إلى كون السنة التي ضربت بها قطعة البصرة توافق فترة تولية يحيى بن إدريس أمر الأدارسة بمدينة فاس 234هـ/868م، فهل يكون يحيى قد أسند إلى عمه القاسم تسيير هذه المناطق[79]؟ أم يتعلق الأمر بإقراره على مجالات سبق واستردها القاسم بن إدريس بالقوة وبسند من القبائل البربرية كما سيتبين؟.

أما بالنسبة للإشارة الثانية، فقد انفرد بذكرها ابن الأبار، حيث يقول بأن البربر لما عاينت ما حصل للقاسم وانهزامه، تجمعت حوله وساندته في استرجاع ما كان تحت يده من مناطق: « فلما عاين البربر ذلك نهضوا إليه وهو بمرابطه فصرفوه إلى عمله، ورجع إليه كل من صدر إلى أخويه محمد وعمر»[80].

فهل يكون القاسم بن إدريس قد استعاد ممتلكاته حسب رواية ابن الأبار بدعم من القبائل البربرية المستقرة بالمناطق التي كانت خاضعة لسلطته؟ خاصة أننا نجد أدلة أخرى ذات مصداقية كبيرة تتعلق بتولي أمر هذه المجالات من قبل أبناء القاسم بن إدريس بعد موته، فالإشارات المصدرية[81]، وأيضا النقدية بخصوص ذلك كثيرة[82].

حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1985. ج 1: 131.

[77]- ونسبت له أيضا قطعة ضربت بأصيلا وهي حينها من نصيب يحيى.

[78]- Eustache Corpus, op cit, p : 185.

[79]- صدقي، **الأدارسة من النشأة إلى التجزئة**، ص. 301.

[80]- ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج 1: 133.

[81]- يذكر البكري مثلا تولي أبناء القاسم بن إدريس أمر أصيلا بعد وفاة أبيهم، وذكر منهم إبراهيم والحسين بن إبراهيم والقاسم بن الحسين. – البكري، **المسالك والممالك**، ص. 221/- ينظر أيضا ابن عذاري، **البيان المغرب**، 1: 233.

[82]- ينظر بعض الدراهم المنسوبة لإبراهيم بن القاسم والمسكوكة بالبصرة.

-Maamri, Monnaies inédites, pp : 65-66 et 71-73.

ويقدم البكري إفادة ثالثة بخصوص بناء القاسم بن إدريس لسور أصيلة، فيقول: «فقدمها القاسم بن إدريس فملكها وبنى سورها وقصرها...»[83]. ويورد هذا الأمر بعد هجوم النورمنديين (المجوس) على أصيلة حوالي سنة 229هـ/846م[84]. فهل يكون قدومه إلى أصيلة بعد أن اجتمعت عليه البربر وساندته في رد ما كان بيده من ملك؟ أم أن القبائل البربرية بالمنطقة خافت أن يكرر النورمنديون حملتهم فطلبوا سنده لذلك عمل على تحصين المدينة ببناء سورها؟[85]. وتبقى المعلومة الأكيدة هي تملك القاسم بن إدريس ومن بعده أبنائه لمدينة أصيلة.

وفي هذا المقام نتوفر **بالبيان المغرب** على إشارة رابعة، يشير فيها ابن عذاري إلى تسليم يحيى أعمامه وأخواله أقاليم وجهات بالمغرب ومنهم القاسم: «... فولى يحيى أعمامه وأخواله أعمالا، ... وولى القاسم غربي فاس: لهاتة[86] وكتامة...»[87]. والمقصود هنا هو يحيى بن إدريس (يحيى الأول 234-249هـ/ 849-863م)، وليس يحيى بن يحيى (يحيى الثاني 249-252هـ/863-866م)، فإذا رتبنا الأحداث المذكورة عند البكري وما أورده ابن عذاري، أي قدوم القاسم بن إدريس لمدينة أصيلا بعد خروج النورمنديين عن شاطئها، وقدومه عليها ليمتلكها أي في الثلاثينيات من القرن الثالث الهجري[88]، فيكون الذي منحه حكم المنطقة هو يحيى الأول وليس الثاني، وإذا أضفنا القطعة التي ضربت بالبصرة سنة 245هـ/895م، وهذا التاريخ يزامن فترة حكم يحيى الأول. ورغم هذا المعيق الزمني بين

---

[83]- البكري، **المسالك والممالك**، ص. 221/- ابن عذاري، البيان المغرب، 1: 232.

[84]- ابن عذاري، **البيان المغرب**، 1: 232.

[85]- أم يكون السبب في تحصين المدينة هو الصراع القائم بين أفراد الأسرة الإدريسية، وتفاقم ظاهرة استقلال كل أمير بمجالاته؟.

[86]- هكذا وربما المقصود " لواتة".

[87]- يبدو أن الروايات والدراسات التاريخية قد ركزت على التقسيم الإداري الأول الذي تم في عهد الأمير محمد بن إدريس، والذي اعتبرته أول تقسيم يعرفه المغرب، وأغفلت هذا التوزيع الثاني للبلاد الذي تم في عهد ابنه يحيى وتوليته لأعمامه وأخواله على بعض الجهات.- **البيان المغرب**، 1: 211.

[88]- ينعته صاحب البيان بالملك حيث يقول: « فأول من قدم عليها من الملوك القاسم بن إدريس؛ فإنه ملكها، وقامت دعوته بها إلى أن توفي». والمقصود هنا مدينة أصيلا طبعا. - ابن عذاري، **البيان المغرب**، 1: 233.

الشخصيتين (يحيى الأب والابن) يحتفظ النص بمكانته في التأكيد على خضوع غرب فاس للقاسم بن إدريس ولأبنائه.

بجمع المعلومات المنقوشة داخل القطع النقدية وربطها بذلك القليل المتوفر بالمصادر التاريخية، يتأكد لنا استمرار أو رجوع القاسم بن إدريس للحياة السياسية، وتحكمه في كل المناطق التي كانت بين يديه قبل هزيمته أمام جيوش أخيه عمر بما فيها مدينة طنجة، كما تقرب لنا تلك المعطيات مجتمعة زمن وفاته، حيث تمدنا القطع النقدية بتاريخ 254هـ/868م، كتاريخ متأخر عما يوجد بالنقود المنسوبة إليه[89]، ووهو دليل صارخ بأن القاسم بن إدريس كان على قيد الحياة إلى حدود هذه السنة المنقوشة بتلك القطعة[90]، أي بداية النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وهذا ما لا نجده بكتب التاريخ أو التراجم، التي اكتفت بذكر موضع وفاته والذي حددته في مدينة أصيلا[91].

وبناء عليه تكون الحياة السياسية للقاسم بن إدريس بالمنطقة الشمالية قد دامت إلى غاية الخمسينيات من القرن الثالث الهجري، وقد ارتبطت به أثناء هذه المدة مدن كثيرة منها مدينة طنجة على الخصوص، التي بقيت تحت نفوذ أبنائه من بعده، ومن جديد تتكلف القطع النقدية بمنحنا إفادات حول اسم أحد أبناء القاسم والذي تولى أمر طنجة، والمعني هنا هو **"محمد بن القاسم"** الغريب عن المصادر الكلاسيكية[92]، واسمه يرد بداخل درهم سك بطنجة سنة 277هـ/890م[93]:

لا اله الا	**القاسم**
الله وحده	محمد
لاشريك له	رسول

---

[89]- Eustache, p : 111.

[90]- وحدد أوسطاش موته في هذا التاريخ أي 254هـ. – أوسطاش، **الجامع في الدراهم الإدريسية**، جمعية تاريخ المغرب، ص.32.

[91]- **البيان المغرب**، 1: 233.

[92]- ومحمد هذا هو أبو القاسم بن محمد بن القاسم الملقب بكانون، وأيضا أبو إبراهيم الذي شيد حجر النسر سنة 317هـ/929م (ينظر الصفحة الموالية).- ابن خلدون، **كتاب العبر** 4: 22/- البكري، **المسالك والممالك**، ص. 240-241.

[93]- Maamri, Monnaies inédites, p : 81.

الله
محمد

- بسم الله ضرب هذا الدرهم **بطنجة سنة سبع وسبعين (ومائتين)**
- محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق....

وأضافت لنا هذه القطعة مسألة غاية في الأهمية، وهي استمرار تبعية مدينة طنجة لأبناء القاسم بن إدريس،كتأكيد قاطع على رجوع القاسم إلى بسط سيادته على طنجة ومجالها. وفي هذا المقام نتفق مع معمري بكون الدرهم المنسوب لمحمد بن القاسم فريد من نوعه[94]، حيث لم نجد له مثيلا بالمصنفات الخاصة بالمسكوكات المغربية. والملاحظ أن المتحكم من أبناء إدريس في طنجة يبسط نفوذه أيضا على مدينة سبتة، إذ نجد دراهم أخرى لمحمد بن القاسم سكت بسبتة غير أنها غير واضحة من حيث تاريخ الضرب[95]، وتتضمن تقريبا نفس ما نقش بالدرهم السالف الذكر مع تغيرات بسيطة كما هو مسجل[96]:

لا اله الا
الله وحده
لاشريك له

محمد
رسول
الله
محمد بن القاسم

- بسم الله ضرب هذا الدرهم **بسبتة** (.....)
- محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق....

والحالة السيئة لهذه القطع حجبت عنا إفادات بالغة الأهمية، فهناك أيضا درهمان سكا بطنجة غير واضحي التاريخ ولا مكتملي اسم من سكهما، إذا

[94]- Maamri, Monnaies, op cit, p : 82.
[95]- Maamri, Monnaies, op cit, p : 124-125.
[96]- Maamri, Monnaies, op cit, p : 124.

يظهر فيهما اسم "محمد"[97]، وعلى الأرجح أنه نفسه محمد بن القاسم. ولقد كنا في حاجة ماسة للتعرف على تواريخ تبعية سبتة وطنجة لهذا الأمير الإدريسي، حيث تفاجئنا القطع الواردة في كتاب المعمري بتقديم سيد جديد لمدينة طنجة، وهو **"إبراهيم بن القاسم"**، ومن جديد تاريخ الضرب غير واضح[98]، وهذه الشخصية هي المشهورة من أبناء القاسم بن إدريس، ويتكرر ذكر اسمها بالكتب التاريخية والقطع النقدية كثيرا، إلا أن أغلبها يحدد مجال سيطرته بالبصرة وأصيلة، وهنا نجد نفوذه يمتد إلى طنجة، ولا نعلم السبب الكامن وراء اتساع مجال حكمه، وما السبب في اختفاء ورود اسم أخيه محمد بن القاسم داخل القطع المضروبة بطنجة، هل هذه القطعة قد ضربت قبل تولية محمد بن القاسم أمر طنجة أم بعد وفاته[99] ؟ أم أن قوة إبراهيم قد كبرت وتوسعت معها طموحاته السياسية والمجالية، فقام بعزل أخيه محمد بن القاسم[100] ؟. وهذا يؤكد كون المرحلة مرحلة صراع بين الأمراء الأدارسة، ليس فقط بين أمراء فاس ورؤساء الكيانات الإدريسية المتفرقة بالمغرب[101]، بل حتى داخل أفراد نفس البيت مثل الحاصل هنا بين عناصر بيت القاسم بن إدريس، فكل فرد يطمع في توسيع مناطق سيادته

---

[97]- Maamri, Monnaies, op cit, p : 127-128.

[98]- تحمل هذه الدراهم نفس العبارات السالفة، والتغيير الوحيد الحاصل داخلها هو اسم من ضربها. وهناك اختلافات أخرى لم نتطرق لها بموضوعنا والمتعلقة بالوزن والقطر.

- Maamri, Monnaies inédites, p : 112-113.

[99]- لم نعمد على إدراج فرضية عدم ترك محمد بن القاسم عقبا يتولون تسيير طنجة من بعده، حيث نجد إشارات بالمصادر لبعض أبنائه، فابن خلدون يذكر منهم مثلا: إبراهيم بن محمد بن القاسم الذي تولى أمر بني إدريس بعد أن أجلاهم ابن أبي عافية، حيث اختط لهم حجر النسر سنة 317هـ/929م. كما ذكر أيضا ابن خلدون اسم أخيه الذي قام بأمر الأدارسة بعده وهو القاسم بن محمد بن القاسم المعروف باكانون (عند البكري جنون. 241، وقنون عند ابن الخطيب. 218)، ولهم أخ ثالث مشهور باسم الحجام وهو الحسن بن محمد بن القاسم. ومع الأسف لا نتوفر بالمسكوكات المدروسة على قطع نقدية تنسب لأحد هؤلاء الأمراء. - ابن خلدون، **كتاب العبر** 4: 22./- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص.218./- البكري، **المسالك والممالك**، ص. 240-241.

[100]- يقول عنه البكري أنه كان ضعيفا بين إخوته، وذلك بعد ذكره لبعض أبنائه: «...وهم حسن وجنون وإبراهيم بنو محمد بن القاسم، وكان **محمد متخلفا في إخوته وعشيرته لا قدر له**». فهل يكون هذا هو السبب الذي دفع إبراهيم إلى بسط نفوذه على حساب مجالات محمد. – البكري، **المسالك والممالك**، ص. 241.

[101]- تميزت هذه الحروب حسب بعض الباحثين بطابعها الإقطاعي، فكل طرف حاول الاستقلال بالإقليم التابع له. – محمود إسماعيل، **الأدارسة**، ص. 82.

على حساب جيرانه حتى لو كانوا إخوته أو أعمامه، وهذا ما عرف ب " قانون الغلبة"[102]؛ وعليه يكون الصراع الأسري دليل على ضعف السلطة المركزية ومحدودية نفوذها.

وتواصل المسكوكات مهمتها الإخبارية في الكشف عن أسماء بعض من تولوا ولاية طنجة، إذ يوفر لنا معمري دراهم طبعت بطنجة تنسب **لمحمد بن أحمد**[103]، وتاريخ الضرب غير واضح، لكن هناك قطع أخرى تنسب لهذه الشخصية ترد بها سنة (ستة وتسعين...)[104]، والغالب أن التاريخ هو 296هـ/908م. ونفس الديباجات السالفة الذكر هي المنقوشة بقطع محمد بن أحمد[105]:

لا اله الا	**محمد بن أحمد**
الله وحده	محمد
لاشريك له	رسول
	الله
	المنتصر بالله

- بسم الله ضرب هذا الدرهم **بطنجة** (.....)
- محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق....

ولا نعرف من هو محمد بن أحمد هذا، والذي لقب نفسه ب: **"المنتصر بالله"** على شاكلة أمراء المشرق وبني أمية بالأندلس[106]، فلا نجد له ذكرا في المصادر الكلاسيكية ولا بالمصنفات النقدية الأخرى، فوحدها المسكوكات من احتفظت لنا باسمه وبأسماء غيره من حفدة إدريس بن

---

[102]- المنتصر يستولي على ممتلكات المنهزم.- محمود إسماعيل، **الأدارسة**، ص. 84.

[103] - Maamri, monnaies inédites, p : 129-130-131.

[104]- Maamri, Monnaies, op cit, p : 130.

[105]- Maamri, Monnaies, op cit, p : 129.

[106]- سبق ووظف الأمراء الأدارسة هذا اللقب، حيث تكرر نقشه بالنقود المنسوبة لعلي بن محمد بن إدريس، ينظر بخصوصه بعض القطع التي أورد أوسطاش.

- Eustache, Corpus, op cit, p : 184- 186-187.

إدريس[107]، والذين كانوا يتولون أمر تسيير مدينة طنجة إلى غاية نهاية القرن الثالث الهجري[108].

استنتاج عام

مكنتنا القطع النقدية من التعرف على نشاط دار سكة طنجة ومسارها منذ دخول الإسلام إلى غاية نهاية القرن الثالث الهجري، وأثرنا بفضلها عدة قضايا ذات أهمية كبيرة في تاريخ الإمارة الإدرسية عامة وتاريخ مدينة طنجة على الخصوص. ومنحتنا تلك النقود معلومات قيمة جعلت ما ورد من روايات ببعض المصادر موضوع شك وتساؤل، كما عاينا بفضلها كيف أن المدينة كانت قاعدة للقاسم بن إدريس وأبنائه من بعده، وسهلت علينا تتبع بعض الفترات البيضاء من تاريخ الإمارة الإدريسية ومنطقة طنجة، حيث كانت العملات أكثر حياة ونبضا من المصادر الكلاسيكية، ما سمح بإعادة قراءة تلك المحطات الغامضة، واكتشفنا بواسطة ما ضرب بالمسكوكات عودة الأمير القاسم بن إدريس لمزاولة مهامه باعتبارها سيدا للمنطقة الشمالية الغربية من المغرب الأقصى، مخالفا بذلك ما تداولته المصادر العامة.

والظاهر أن منطقة طنجة قد دخلت في صراع بين أبناء القاسم بن إدريس بعد وفاته، فكل واحد من أبنائه وحفدته حاول أن يستفرد ببسط نفوذه عليها[109]، فالنماذج النقدية المعتمدة أوضحت لنا حقائق جلية لم توفرها باقي

---

[107]- وأبو محمد أحمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس، هو من كانت له حروب مع أبن أخيه الحسن بن محمد بن القاسم المعروف بالحجام (البكري، **المسالك والممالك**، ص. 239/- **الاستقصا**، 1: 184). وأحمد هذا اشتهر بعلمه، وهو المعروف "بالكرتي" حسب البكري (1: 243). ينظر ترجمته في:- عبد الوهاب بن منصور، **أعلام المغرب العربي**، المطبعة الملكية، الرباط، 1399هـ/1979م، 2: 247.

[108]- ينسب لمحمد بن أحمد درهم ورد به تاريخ 299هـ/911م، لكن لم تنقش بداخله عبارة "المنتصر بالله".

-Maamri, Monnaies inédites, p : 138.

[109]- ومن البديهي أن تترك هذه المواجهات آثارا سلبية على مدينة طنجة ومجالها، خاصة من الناحية الاقتصادية، بسبب ما يتمخض عنها من خراب للأراضي الزراعية، وكساد للصناعة والتجارة، وعدم أمن السابلة. والأكيد أن تواصل الحروب بين آل إدريس سيزيد من تأزم الحالة الاقتصادية ومعها ستسوء أوضاع الساكنة.

المصادر، ويمكن إدراج بعضها بعجالة، سجلنا مثلا كون محمد بن القاسم وأبنائه قد دخلوا في صراع مع (أخيه) أحمد بن القاسم وأبنائه، والغالب أن اختفاء اسم محمد بن القاسم من دوائر مسكوكات طنجة، والذي لاحظنا بأنه عوض بنقش اسم إبراهيم بن القاسم، ويظل سبب ذلك مبهما؛ فقد يكون أحد بوادر هذا التنافر بين عناصر أفراد سلالة القاسم بن إدريس، حيث عاينا أنه بعد ذلك أصبحت تطبع داخل النقود أسماء أبناء أحمد بن القاسم، فهل يكون إبراهيم ببسط سيادته على طنجة قد عمل على تنحية محمد وأبنائه من مسؤولية تسيير طنجة، ومنح مهمة ذلك لأحمد ومن بعده أبنائه كما تدل على ذلك القطعة المنسوبة ل "محمد بن أحمد". ويعزز هذا الاستنتاج بإشارات جد مختصرة بالكتب التاريخية، والتي تشير لنشوب حروب بين أحمد بن القاسم بن إدريس، وأبن أخيه الحسن بن محمد بن القاسم المعروف بالحجام. وأحمد هذا كما أسلفنا هو أبو محمد المذكور بالقطع النقدية المسكوكة سنة 299هـ/911م بطنجة، أما محمد أبو الحسن الحجام فهو نفسه الذي نقش اسمه بنقود طنجة بتاريخ 277هـ/890م.

ومسألة الاضطراب والتفرقة والتنافس بين أفراد الأسرة الإدريسية أمر معلوم، والمتسبب فيه هو ضعف السلطة المركزية، فامتد ذلك لسنوات طويلة، ما جعل هذه الحقبة تعرف عند الباحثين "بمرحلة ضعف الإمارة الإدريسية". وعليه تكون القطع النقدية قد عرضت أمامنا إفادات مهمة، ما سمح بربط معلوماتها مع ذلك النزير القليل الوارد بالمصادر، وسمح بالخروج ببعض التساؤلات والاستنتاجات، التي نأمل أن تكون قد أسهمت في رفع اللبس عن تلك المرحلة المظلمة من تاريخ الإمارة الإدريسية ومنطقة طنجة.

وأمام ضعف السلطة المركزية الإدريسية استمرت هذه المدينة في لعب أدوار مهمة بالمغرب الإدريسي وبمنطقة الشمال الغربي من المغرب الأقصى، والمشهور هو دخول المدينة باعتبارها نقطة مهمة في الصراع بين الفاطميين والأمويين، الذين بسطوا نفوذهم على بعض مناطق المغرب الأقصى منذ بداية القرن الرابع الهجري، وضمنها منطقة طنجة. لكن مع وصول دول مركزية قوية للحكم بالمغرب ونخص بالذكر هنا المرابطين والموحدين وبني مرين، أعادت الهيبة للمغرب الأقصى، وأصبحت مدينة

طنجة ومنطقتها تحت سيادة تلك الدول المهابة الجانب، لكن نتفاجأ باختفاء المسكوكات المنسوبة لمعمل طنجة فلم نعد نسمع له ذكرا[110]، فتلك الدول لم تعتمد عليه ولم تضرب نقودها به. وتنحية المدينة من سياستهم المالية بدون شك له أسبابه ودوافعه، والغالب أن الثقل السياسي والتجاري والعسكري الذي أخذت تلعبه مدينة سبتة بشمال المغرب، كان أحد تلك الدوافع والأسباب الكامنة وراء تهميش دور طنجة النقدي، فسبتة المجاورة كانت أوفر حظا في البرامج والسياسات التي نهجتها تلك الدول من طنجة، التي توقفت عن إصدار عملاتها في مرحلة الانهيار الإدريسي، وعليه تكون دار سكة طنجة قد عرفت أزهى محطاتها وانتعاشاتها في عهد الأمير إدريس بن إدريس، وابنه القاسم بن إدريس ومن بعده أبنائه وحفدته.

أسماء الأمراء
1- إدريس(الثاني) بن إدريس
2- القاسم بن إدريس بن إدريس
3- محمد بن القاسم بن إدريس الثاني
4- إبراهيم بن القاسم بن إدريس الثاني

[110]- يفاجئنا بريطي بقوله بأن معمل طنجة كان ضمن دور الضرب التي سكت نقودا فضية باسم المرابطين، وفي نفس الاتجاه سار هازرد بنشره قطعة مرابطية سكت بطنجة "Tanjah" (القطعة رقم 974)، وهذا مخالف لما نعلم، أي تخلي المرابطين على سك عملاتهم بطنجة، ولا توجد أي قطعة تنسب لهم ضربت بطنجة، باستثناء ما ذكره هازرد كما أشرنا، أي أن دار سكة مدينة طنجة لا وجود لها في الخريطة النقدية المرابطية، ولا من تعاقب على حكم المغرب بعدهم. الإشارة الوحيدة والتي تعيد إرجاع عملة طنجة للواجهة النقدية بالمغرب تعود للعهد العلوي، حيث سك السلطان سيدي محمد III (1204-1171هـ/1757-1790م) درهما بطنجة سنة 1186هـ/1772م. (القطعة رقم 472 في كتاب *Les Trésors du Musée de la Monnaie*).

5- محمد بن أحمد بن القاسم بن إدريس الثاني[111]

جدول لمن سك نقودا بمدينة طنجة من آل إدريس[112]

[111]- هذه الشخصية مجهولة بالنسبة لنا، حيث لم نجد لها ذكر بالمصادر، ولم يثبت اسمها بالقوائم الخاصة بالبيت الإدريسي التي وضع كل من أوسطاش ومعمري، النقود وحدها من كشفتها لنا.
[112]- حسب المتوفر بين أيدينا من مصنفات ودراسات نميائية.

قائمة المصادر والمراجع

أ. المصادر

ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، راجعه عبد الوهاب بنمنصور، المطبعة الملكية، الرباط، الطبعة الثانية، 1420هـ/1999م.

ابن الأبار، **الحلة السيراء**، حققه وعلق على حواشيه حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1985. ج 1.

ابن الأثير عز الدين، **الكامل في التاريخ**، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى. 1407هـ-1987م. ج 4.

ابن خلدون، **كتاب العبر والمبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي ذ- خليل شحادة، مراجعة، ذ- سهيل زكار، دار الفكر- بيروت، لبنان، 1421هـ/2001م. ج 1.

ابن الخطيب،لسان الدين، **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق وتعليق، أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء. 1964.

ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق كولان وليفي بروفنسال وإحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، 1983، ج 1، وج 4.

ابن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر 49، ج 1.

ابن القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973.

البكري أبو عبيد، **المسالك والممالك" الجزء الخاص ببلاد**

المغرب"،دراسة وتحقيق، زينب الهكاري، ربا نيت- الرباط، 2012.

الحكيم أبو الحسن علي بن يوسف، **الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة**، تحقيق، حسين مؤنس، منشورات معهد المنشورات الإسلامية بمدريد، الطبعة الأولى، مدريد 1960/1379.

العزفي (أبو العباس أحمد السبتي)، **إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد**، تخريج ودراسة : محمد الشريف، السلسلة الأندلسية، منشورات المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي. 1999م.

الرقيق القيرواني، **تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق، عبد الله العلمي الزيدان وعزالدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان، الطبعة الأولى. 1990.

قدامة بن جعفر، **الخراج وصناعة الكتابة**، شرح وتحقيق محمد حسين الزيدي، العراق، دار الرشيد للنشر، 1981.

قدامة بن جعفر، **كتاب الخراج**، ملحق بكتاب " **المسالك والممالك**" لابن خرداذبة. ليدن، 1306.

الناصري أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، دار الكتاب، الدار البيضاء. **1954**. ج 1.

ب. المراجع

إسماعيل، محمود ، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، الدارالبيضاء، المغرب. الطبعة الثانية 1985/1406.

إسماعيل، محمود ، **الأدارسة (172-375هـ) حقائق جديدة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1411هـ - 1991م.

أعشي، مصطفى، من ميناء ليكسوس إلى ميناء تينكا(طنجة) البحري، ضمن **أعمال الأيام الوطنية الثامنة عشر للجمعية المغربية للبحث**

التاريخي- الدار البيضاء في 27-29 أكتوبر 2010، الندوة بعنوان: "المدن المراسي في تاريخ المغرب"، الطبعة الأولى 2013.

أوسطاش دنيال، **الجامع في الدراهم الإدريسية**، نشرة جمعية تاريخ المغرب، العدد 2، 1969.

أوسطاش، دنيال، **تاريخ النقود الإسلامية وموازينها في المشرق وبلاد المغارب منذ البدايات الأولى إلى الآن**، ترجمة محمد معتصم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة: نصوص وأعمال مترجمة رقم 14. الطبعة الأولى، 2011/1423.

بن تاويت، محمد ، "فجر العربية بالمغرب الأقصى أو المراكز الأولى للثقافة العربية به"، **مجلة دعوة الحق**، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، العدد 8، السنة 11. 1388-1968.

بنمنصور، عبد الوهاب ، **أعلام المغرب العربي**، المطبعة الملكية، الرباط، 1399هـ/1979م.

جعيط هشام، **تأسيس الغرب الإسلامي، القرن الأول والثاني هـ/ السابع والثامن م**. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2004.

الدوري، عبد العزيز ، **تاريخ الاقتصاد العراقي في القرن الرابع الهجري**، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة، بيروت، 1995.

رحاحلة، إبراهيم القاسم ، **النقود ودور الضرب في الإسلام في القرنين الأولين 132- 365هـ/ 749-975م**، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة. 1999.

سعدون، عباس نصر الله، **دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي 172-223هـ/788-835م**، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ- 1987م.

الشريف، محمد ، "مسألة سك العملة بين ابن حزم وأبي العباس العزفي"، ضمن **نصوص جديدة ودراسات في تاريخ الغرب الإسلامي**، الطبعة الأولى، تطوان، 1996.

صـدقي محمـد، **الأدارسـة مـن النشـأة إلـى التجزئـة 172هـ/788م-319هـ/931م**، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، السنة الجامعية 1408-1408هـ/ 1988-1989م. (رسالة مرقونة).

عزاوي أحمد، **مختصر في تاريخ الغرب الإسلامي**، الجزء الأول، طبعة ثانية. 2009. الرباط.

العلوي القاسمي، هاشم ، **مجتمع المغرب الأقصى، حتى منتصف القرن الرابع الهجري - منتصف القرن العاشر الميلادي**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1415هـ - 1995م. الجزء 1.

العيوض، سيدي محمد ، **مدن المغرب القديم من خلال إشارات النصوص ونتائج البحث الأثري**، الرباط، 2011.

ج. مراجع أجنبية

Brèthes, J.D, *Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques*, Casablanca, (sans date).

Eustache, Daniel., Etudes de numismatique et de métrologie musulmanes II, " Les perles des colliers ou Traité des monnaies", *Hesperis Tamuda*, Vol X- Fasc 1-2, 1969.

Eustache, Daniel., *Corpus des dirhams Idrisides et Contemporains*, Bank Al-Maghrib, réimpression, Rabat, 2008.

Hazard, Harry Williams., *Numismatic History of Late Medieval North Africa, Numismatic Society*, New York, 1952.

Lane, Poole., *Catalogue of Oriental Coins, British Museum*, Printed by Order of Trustees, tome I, London, 1875.

Lavoix, Henri., *Catalogue des monnaies musulmanes de la bibliothèque nationale (Khalifes Orientaux)*, Paris, 1887.

Lavoix, Henri., *Catalogue des monnaies musulmanes de la bibliothèque nationale (Espagne et Afrique)*, Paris, 1891.

Maamri Lahbib, *Monnaies inédites des Idrissides*, Editions Post-Modernité. Fès, 2006.

Les Trésors du Musée de la Monnaie, histoire et patrimoine du Maroc, Bank Al-Maghrib, Rabat 2006.

مغرب القرن السادس عشر من خلال كتابات العلامة أحمد باب الصنهاجي التنبكتي

963هـ/1556م-1036 هـ/1627م

مبارك ايت عدي
المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

Le présent article porte sur l'image du Maroc de la fin du XVI ème siècle à travers les écrits du savant Ahmad Baba Tamboukti. La production écrite étudiée remonte à l'exil du savant à Marrakech au temps du sultan Ahmad Almansour et sous le règne de son successeur Moulay Zidan. Il s'agira de clarifier, dans cette étude, deux faits : d'un côté, le recours des tribus amazighes à l'application des règles du droit coutumier, de l'autre, l'autorisation qu'il accorda - en tant que grand mufti - aux inflas de gérer les affaires de leur communauté en l'absence, au niveau local, du représentant de l'autorité centrale (le souverain).

تعتبر قضية ترحيل العالم أحمد باب التنبكتي الصنهاجي، من بلاد السودان إلى المغرب، من الأحداث التاريخية التي استرعت اهتمام العديد من المؤرخين والباحثين. تناولوا الظروف المؤلمة التي أحاطت بنقله قسرا، من مسقط رأسه مدينة تنبكت إلى مدينة مراكش بالمغرب، وما قاساه من الشدائد خلال اجتياز الصحراء، قبل وصوله إلى هذه المدينة. وقد كان القاسم المشترك بين هؤلاء المؤرخين والباحثين هو التعاطف مع هذا العالم في محنته ولوم السلطان أحمد المنصور الذهبي على الإتيان به من بلده دون إرادته، هو وثلة من علماء أسرته.

إذا تركنا جانبا موضوع المحنة في حياة هذا العالم، والذي أسال الكثير من المداد، كما استغل لأغراض مختلفة، نجد أن الفترة التي قضاها بالمغرب، تعد حسب الكثير من المؤرخين فترة ذهبية في حياته؛ بل من أسباب انتشار سمعته وطيران ذكره، حيث لم تمض سوى فترة قليلة من

وجوده بهذا البلد، حتى نال شرف التدريس في أكبر جوامع العاصمة مراكش، كما أصبح من كبار القضاة والمفتين الذين لا توجه الفتوى إلا لهم، أكثر من ذلك تعد هذه المرحلة أخصب مراحل حياته الثقافية، حيث ألف خلالها أزيد من نصف كتبه، والتي قدرت بأكثر من أربعين مؤلفا، تعج بتفاصيل مهمة حول التاريخ الثقافي والاجتماعي والديني والسياسي بالمغرب خلال فترة حكم الدولة السعدية، إضافة إلى المعلومات الفقهية والشذرات الأدبية وكرامات الأولياء.

يهمنا في هذا المقال، تتبع صورة مغرب القرن السادس عشر الميلادي انطلاقا من الكتب التي ألفها بهذا البلد، بما في ذلك الأوضاع السائدة في المجالات الأمازيغية، بعد الأزمة التي عمت البلد بعد وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي، حيث ضعف الحكم المركزي وأصبحت القبائل تسير أمورها بنفسها، اعتمادا على أعرافها المحلية. يستمد مضمون هذه الكتابات أهميته من خلال كون صاحبها شاهد عيان، عايش الأحداث عن قرب وساهم فيها برأيه.

أحمد باب وطبيعة مؤلفاته بالمغرب

ولد أحمد باب في مدينة تنبكت عام 963هـ /1556 م، ينتمي إلى أسرة من بني أقيت المنحدرة من قبيلة مسوفة ثم من قبيلة كدالة، إحدى فروع قبيلة صنهاجة، الممتدة من شواطي المحيط الأطلسي غربا حتى نهر السنغال والنيجر جنوبا (التنبكتي، 1989: 11). يعد من كبار القضاة في عهد الاسكيين، الذين حكموا إمبراطورية سنغاى ببلاد السودان ما بين899-1000هـ، الموافق ل1493-1591م. نبغ هذا في شتى الفنون اللغوية والدينية والتاريخية، كما كان من المتبحرين في اللغة العربية وآدابها.

نُقل إلى مراكش في 25 من جمادى الثاني 1002هـ الموافق لـ 18 مارس 1594 هو وطائفة من أهل بيته، بلغوا السبعين، ومنهم سيف السنة القاضي العاقب، المتوفي بمراكش في ذي الحجة الحرام عام 1005هـ، ومنهم: الشيخ الفقيه، المتبرك به، أبو زيد عبد الرحمان بن الفقيه القاضي محمود بن عمر آقيت، توفي بمراكش ودفن مع ابن القطان بإزاء جامع علي بن

يوسف:(السعدي، 214:1918). وذلك بعد أن أبدوا معارضة لحكم السلطان أحمد المنصور على بلادهم وأيدوا حكم الاسكيين في مدينة تنبكت.

وقبل البحث في صورة المغرب من خلال مؤلفات هذا العالم، يلاحظ القارئ أن "المحنة" التي اجتازها لسبب موقفه السياسي المعارض للوجود المغربي في بلاد السودان بصمت أغلب مؤلفاته، الشيء الذي يتجلى فيما يأتي:

أولا: حضور عبارات الأسى والأسف في أغلب هذه المؤلفات، حيث يختم أغلبها بعبارات لا توجد إلا في قاموس الأسرى والمسجونين، مثل قوله: "يوم الكائنة الكبرى" و"يوم الفتنة" و"يوم وقعت علينا محنة" و"ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم " و"وحسبي الله ونعم الوكيل" و"ما أنا عليه من الضيق والحبس."(التنبكتي، 1988، ج1 17:1، 172،220، 229،236)، (التنبكتي، 2000: 283).

ثانيا: عدم ارتياحه خلال فترة إقامته في المغرب، ذلك ما يظهر من خلال عبارات التوسل إلى الله بالفرج، التي ترد في بعض هذه المؤلفات مثل قوله:"عجل الله بالفرج التام بمحمد وآله " و"عجل الله بالفرج آمين" و"تشتت البال وتنكد الأحوال " (البرتلي، 1981: 34).

إذا كانت هذه النفسية المتأزمة والمنكسرة حاضرة في أغلب مؤلفات أحمد باب بالمغرب، خاصة على مستوى المشاهد وطريقة المشاهدة وطريقة السرد والحكاية، فان ذلك لم يؤثر بشكل جذري على الصورة التي قدمها حول هذا البلد، إذ تعتبر من المؤلفات القليلة التي واكبت فترة دقيقة من تاريخه، ناذرا ما حظيت بإشارات مصدرية مهمة، وهي فترة ما بعد وفاة السلطان أحمد المنصور، المتميزة بالصراع الشديد على الحكم بين الأمراء وانقسام البلاد إلى مجموعة من مناطق النفوذ.

المغرب في كتابات أحمد باب

1. الحياة العلمية والدينية

يعتبر المشهد العلمي والديني المغربي من المشاهد التي كان لها حضور لافت في مؤلفات هذا العالم، فقد انتبه إلى المؤسسات التعليمية بهذا البلد ولحلقات التدريس فيه[1]،كما نوه بكثير من العلماء الذين لعبوا دوراً كبيراً في نهضة العلم والتعليم بالمغرب، حيث خلد خصالهم العلمية ومستواهم العلمي الرفيع[2]. بل وقدم تفاصيل دقيقة حول الكتب المتداولة في حلقاتهم العلمية، مثل: مختصر خليل وتسهيل ابن مالك وألفية العراقي وتحفة الحكام لابن عاصم والشفا للقاضي عياض والموطأ للإمام مالك والمعجزات الكبرى للسيوطي (التنبكتي، 2000: 248).

ولم يكتف فقيهنا بوصف الحياة العلمية بالمغرب، بل انخرط بالرأي في القضايا المذهبية والشرعية التي كان علماء المغرب يناقشونها في عصره، حيث تعرض لقضايا كثيرة مثل: شرعية شرب التبغ وقضية الرقيق، وقيام الجماعة مقام السلطانّ وتعطيل الأحكام والعقوبة بالمال والزواج والطلاق والزكاة وغير ذلك مما يهم المجتمع المغربي (شوقي عطا الله الجمل:127،1993). كما تمحور حديثه عن مساجد المغرب ومزارات الصالحين وأضرحتهم، حيث شكلت هذه المزارات أشد المواقع التي تنشرح فيها نفسه، إذ يتوسل إلى الله فيها أن يفرج عنه ليعود إلى بلاده، ومن أشهر هذه المزارات: ضريح أبي العباس السبتي الذي كان يحمل إليه بطاقة مختومة: " يضعها عليه ويقول إني أسألك ما في هذه البراءة، لأنه قد

---

1 من حلقات التدريس التي خصص لها وقفة مهمة، تلك التي كان يشرف عليها في مسجد الشرفاء بمراكش، حيث قال: " فكنت أجلس في مسجد الشرفاء وابدأ محاضرتي بقراءة كتاب مختصر خليل الذي كنت أفسر نصوصه بتقديم بعض الشروحات والاستشهادات والأمثلة المستقاة من أفضل المراجع الفقهية"، احمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج، ج2، 2000، ص 284.

2 من نماذج العلماء الذين تتلمذوا على يده: العالم محمد بن يعقوب الآيسي المراكشي، والذي قال عنه:"لم الق بالمغرب لا أتبث ولا أوثق ولا أصدق ولا أعرف بطريقة العلم منه" (التنبكتي، 1989 :263،264)، ومفتي فاس الشهير محمد المقري الذي وصفه ب:"الفقيه، المتفنن، الحافظ، النبيه، اللبيب، المحصل، الحافظ" (المقري ،1933: 306). ثم أبي زيد التلمساني، الذي وصفه ب:" الفقيه العالم الصالح المبارك المتحدث الفقيه الجامع المحصل الكامل نزيل تارودانت من سوس الأقصى، مخائل الخير عليه لائحة، وآثار الهدى معه واضحة، مع ما جبل عليه من التودد والسكينة والطهارة" (التمنرتي، 2000 :134) و الفقيه إبراهيم الشاوي، الذي صنفه من "أكثر فقهاء مراكش خدمة للفقه" (التنبكتي، 1989 :172) والفقيه سيدي يحيى بن عبد الله الحاحي، الذي قال عنه : "سيدي وعدتي، السيد النبيه، الزكي، القدوة، العارف بالله، وبركتي" (التمنرتي، 2000 : 134).

يحضر معه، غالبا الملازمون له " (القادري، 1977:ج1 :174)، ثم ضريح محمد بن عبد الكريم الهزميري الذي زاره هذا العالم مرارا بأغمات وتوسل عنده. (القادري، 1977:ج1: 184).

على الرغم من انبهار أحمد باب التنبكتي بالمستوى الديني والعلمي الرفيع الذي وصل إليه المغرب في نهاية القرن السادس عشر، فإن ذلك لم يمنعه من إثارة بعض مواطن النقص التي شابت بعض جوانب الحركة العلمية والدينية فيه، خاصة ما له علاقة بعلوم الدين واللغة العربية حيث قال: "لعمري فقد ذهب العلم بهذه المدن المغربية التي هي من بلاد العلم في قديم الزمان كفاس وغيرها، حتى صار يتعاطى الإقراء على كراسيها من لا يعرف الرسالة أصلا، فضلا عن غيرها، بل من لم يفتح كتابا للقراءة، فصار ذلك ضحكة" (محمد رزوق، 1991: 53). وفي الاتجاه نفسه، عاب على هؤلاء العلماء عدم انفتاحهم على جميع كتب الفقه المعروفة عند المالكية واقتصارهم على بعضها فقط، الشيء الذي اعتبره عنوان تراجع هذه المادة، حيث قال: "حتى لقد آل الحال في هذه الأزمنة المتأخرة إلى الاقتصار على المختصر في هذه البلاد المغربية، مراكش وفاس وغيرهما، فقل أن ترى أحدا يعتني بابن الحاجب فضلا عن المدونة، بل قصارهم الرسالة وخليل، وذلك علامة دروس الفقه وذهابه (محمد رزوق، 1991: 53).

في ختام المشهد الديني المغربي عند العلامة أحمد باب، نذكر أن هذا الجانب احتل مكانة مرموقة في الصورة التي كونها هذا العالم حول المغرب، وقد ركز على هذا الجانب أكثر من غيره لعوامل كثيرة في طليعتها: طبيعة شخصيته الدينية والعلمية التي تحكمها قواعد الإسلام وقيمه، وكذا علاقة الصداقة والصلة التي تربطه مع علماء المغرب، حيث تعاطفوا معه في محنته، وتوسطوا له لدى السلطان أحمد المنصور للإفراج عنه. كما لازموا حلقاته العلمية، وزودوه بما فقده من كتب العلم النادرة، خلال ظروف ترحيله من السودان إلى المغرب (التنبكتي، 2000: 284، 285). ولهذه الأسباب - ربما- جاءت معلوماته عن الحياة الدينية والعلمية مفصلة وشاملة.

2. نظام السياسة والحكم

خلافا لما عليه الأمر بالنسبة للجانب الديني والعلمي، تكاد الحياة السياسية بالمغرب تغيب كليا في ما كتبه أحمد باب عن المغرب. لكن هذا النقص في المعلومات السياسية لا يرتبط فقط بالموقف السلبي لهذا العالم من السلطان أحمد المنصور الذهبي، بعد أن نقله قسرا من السودان إلى المغرب، - كما يعتقد الكثير من الباحثين- وإنما يجد تفسيره أيضا في موقف هذا العالم التقليدي من أمور السياسة والحكم عامة، حيث ألف قبل وصوله إلى المغرب كتابا خاصا، ما بين سنتي 996-997هـ/ 1578-1588م، سماه "جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الولاة الظلمة"، حذر فيه من التقرب من الحكام ومصاحبتهم والسعي إليهم بأي شكل من الأشكال، تورعا وزهدا في الحياة الدنيا ولو كان لتقديم النصح لهم أو لرفع المظلمة عن الغير، تفاديا لاضطهادهم وتنكيلهم وعدائهم (الزريقي، 1998: 307،306).

ومن الإشارات السياسية القليلة التي جاءت عرضا عند هذا العالم: طريقة استقبال السلطان أحمد المنصور للناس أيام الديوان، حيث استنكر استقباله لهم من وراء حجاب، على طريقة خلفاء بني العباس، حيث خاطبه أحمد باب بقوله: "إن الله تبارك وتعالى يقول: ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب وأنت قد تشبهت برب الأرباب، فإن كانت لك حاجة فانزل إلينا وارفع عنا الحجاب، فنزل المنصور ورفعت الأستار" (الافراني، بدون تاريخ: 97). وفي ذات اللقاء، انتقد سياسة السلطان "السودانية" واستغرب كيف استساغ القيام بغزو بلد مسلم (بلاد السودان) بدون مبرر شرعي، في وقت كانت أمامه مشاريع كبرى تستحق الأولوية، مثل تحرير الثغور وإعادة فتح الأندلس وتوسيع خلافته على حساب الأتراك في الجزائر القريب من المغرب[3]. وفي هذا الإطار خاطبه بقوله:"هلا

[3] لقد رفض هذا العالم كل المبررات التي انطلق منها أحمد المنصور لتبرير غزوه للسودان، مثل إحياء الخلافة الإسلامية وتفعيل الجهاد. كما كشف عن المبررات الحقيقية لهذه الحملة حيث واجهه بقوله:" ما بك جمع كلمة الإسلام و إنما بك الزبرجد الأحمر وبنات حام، أي الذهب والعبيد".(التنبكتي:2000: ج1 :31) كما قال له أيضا:"لست أعلم في إقليم المغرب سلطانا إلا صاحب مدينة تونس".(التنبكتي:2000: ج1:31) و نفى عليه كل ألقاب الفخامة والعظمة وما يدور في فلكها، مثل أمير المؤمنين والخليفة والمجاهد والإمام، لما لها من مضمون ديني، يضفي الشرعية على سياسته.

جمعت الكلمة مع ترك تلمسان فإنهم أقرب إليك منا، فأجابه المنصور: قال النبي صلى الله عليه وسلم اتركوا الترك ما تركوكم، فامتثلنا الحديث، فقال أبو العباس: ذلك زمان، وبعده قال ابن عباس لا تتركوا الترك ولو تركوكم، فانفض المجلس." (الافراني، بدون تاريخ:97).

إذا كان هذا العالم لا يرى في الحياة السياسية المغربية إلا الجانب السلبي في السنوات الأولى من إقامته الإجبارية بمراكش، فإن موقفه تغير بعد أن أفرج عنه وانخرط في الحياة الثقافية المغربية، بل تغيرت نظرته إلى السلطان أحمد المنصور نفسه، حيث أبدى إعجابه بما وصلت إليه دولته من القوة والعظمة ومن النظام والترتيب، كما نظر إليه نظرة إكبار وتقدير، حيث أشاد بخصاله وأعماله، بل فاضل بينه وبين ملوك العالم الإسلامي بقوله:"إني رأيت حضرة من تسمو الآمال لسدة بابه، وتسعى لخدمة ركابه، ملك المغربين بالأسل والنصال، ما بين قطر الجنوب إلى الشمال، عالم الملوك وملك العلماء، فخر السلاطين، أبي العباس مولانا أحمد المنصور بن أمير المؤمنين الحسني أيده الله تعالى، معمورة بالعلم مأهولة بدويه وسوق المعارف نافذة فيها وذلك لهمته العلية وطويته الحسنة، السرية، فرأيت أن أخدم خزانته التي تشمل على الطم والرم من كتب العلم بهديته، وإن كنت في صنعي كجالب ثمر إلى هجر أو قارض الشعر لدى آل مضر"، (ابن القاضي، 1986: 52). ونفس الموقف الايجابي اتخذه من السلطان مولاي زيدان بعد خلافته لوالده، إذ قبل هذا العالم أن يكون ضمن خاصته كما قبل أن يختم صحيح البخاري بين يديه[4].

3. المجتمع والسكان

لم يقدم أحمد باب في هذا المجال سوى إشارات منسجمة مع طبيعة شخصيته الدينية والعلمية والروحية، مثل الممارسات الاجتماعية المنافية

4 لما تولى السلطان مولاي زيدان الحكم قدم العالم أحمد باب لقراءة صحيح البخاري بين يديه، وهي المناسبة التي استغلها هذا العالم لتذكيره بوعد قطعه على نفسه، أنه إذا انتقل له حكم المغرب ليطلقنه، وكتب له بذلك: فلما أفضت إليه قرأ له صحيح البخاري، فلما كان الختم ناوله المكتوب بوعده، فأطلقه فمشى ثم ندم على ذلك (ابن القاضي، 1986: 52).

للدين التي اعتبرها من البدع والمستحدثات، أما بنية المجتمع وما يصدر عن الإنسان من نشاط في العمران والمسكن والملبس وفي المأكل والمشرب، في أفراحه وأحزانه وعاداته وتقاليده وأحواله وتحولاته، فنادرا ما يلتفت إليها. رغم ذلك، تعد كتاباته مصدرا مهما للتحولات الاجتماعية التي شهدها المغرب مباشرة بعد وفاة السلطان أحمد المنصور والتي نتجت عن الفوضى وانعدم الأمن وفشل أبناء السلطان المتصارعين على الحكم في نشر سلطتهم الفعلية على مجموع البلاد، سواء على مستوى البادية المغربية أو على مستوى المدن.

فعلى مستوي البادية، تتبع الانعكاسات الاجتماعية للفراغ السياسي الذي عانت منه الكثير من القبائل، خاصة بلاد جزولة التي رفعت له العديد من الفتاوى، تهم كيفية تعويض الفراغ المخزني في مجالها. وفي هذا الإطار، أجاز أن تضع هذه القبائل لنفسها أعرافا وقوانين تنظم العلاقات بينها، شريطة أن توافق الشرع ولا تتناقض معه، حيث جاء في بعض نصوصه: " فاعلم أن الموضع الذي لا سلطان فيه أو لا يلحقه حكم السلطان، إن اجتمع جماعة المسلمين فيه على إقامة أحكام الشرع على الوجه المشروع، فإن حكمهم يقوم مقام السلطان والقاضي. ويجب عليهم السعي في الدخول تحت السلطان، إذ لا يجوز البقاء فوضى للأحاديث الكثيرة كحديث :" من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية"(التمنرتي، 2000: 473).

كما تتبع سوء الأحوال الاجتماعية في كثير من جهات البادية المغربية، خاصة تلك التي مر بها خلال ترحيله إلى مراكش، فحسب المختار السوسي: لما وقف احمد باب بقرية امسكدف بتزكي إرِغْنْ، قرب مدينة تمدلت جنوب المغرب، أذهله ما عليه صبية هذه المنطقة من سوء الأخلاق، بعد أن ضايقوه، وهو مقيد يخزونه بالشوك في شفتيه، حيث قال: " ولما جال فيهم عينه فرآهم كالجعلان قبحا وسوادا، فقال: والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا" (السوسي، خلال جزولة بدون تاريخ، ج3 :81). كما انه لما أشرف على عبور جبل درن خلال

رحلته الى مراكش سأل عن اسمه، فسمي له فقال: "جبل درن كم حويت من درن يا ليتني لم أره ولم يرني."[5]

مقابل الأوضاع المضطربة في البوادي المغربية، انتبه هذا العالم إلى ما كان عليه سكان بعض المدن من رغد العيش، وازدهار مظاهر النعم والترف في مختلف نواحي الحياة اليومية، في الملبس والمشرب والمأكل، كما هو الحال بالنسبة لمدينة فاس التي انتقد سكانها بقوله: "أذهبتم طيباتكم في الحياة الدنيا واستمتعتم بها، فأجابه بعضهم: ولمن خاف مقام ربه جنتان"[6]. كما تتبع ظاهرة تعاطي سكان مختلف المدن لمادة التبغ، بعد أن أقبلت عليها مختلف الطبقات الاجتماعية في فاس ومراكش وبلاد درعة، بما في ذلك بعض العلماء، حيث كان له رأي مخالف لجمهور العلماء في التعاطي لهذه المادة، اذ أفتى بعدم مخالفة المقبلين على شربها للشرع ما دامت غير "مرقدة ولا مفسدة للعقل". أكثر من ذلك ذكر العديد من منافعها الجسيمة(حجي، 1976ج1: 247).

خلاصة

في نهاية هذا المقال نخلص إلى ما يأتي:

أولا: لم تنعكس ظروف الأسر والسجن التي عاشها هذا العالم بالمغرب سلبا على نظرته الموضوعية للأشياء بهذا البلد، فالصورة التي كونها حوله لا تتناقض مع صورة مجموعة من علماء وفقهاء المغرب في نفس العهد، بل حتى بعض العلماء الذين جاءوا فيما بعد، أمثال، المجهول السعدي صاحب تاريخ الدولة السعدية التكمدرتية وابن أبى محلي في كتاب الاصليت ومحمد بن الطيب القادري في نشر المثاني والافراني في النزهة والناصري في الاستقصا والكانوني في جواهر الكمال الخ. لهذا، وكما أشار إلى ذلك الكثير من المترجمين له، جدير بأن يسجل ضمن المؤرخين غير المباشرين للمغرب في أواخر القرن السادس عشر الميلادي.

[5]. مقولة ضمن الرواية شفوية التي لازال سكان جنوب المغرب يرددونها حول العالم أحمد باب .
[6] إشارة أوردها المهدي الفاسي تعليقا على كتاب نيل الابتهاج، نسخة الخزانة العامة، رقم ، ج100.

ثانيا: تعتبر مؤلفاته من المصادر التي لا غنى عنها، للباحث في الفترة التي عاشها المغرب بعد وفاة السلطان المنصور الذهبي، تستمد أهميتها من خلال كونها قد سايرت الظروف الفكرية السائدة في المغرب في تلك المرحلة، كما جاءت بفتاوى واقتراحات تناولت الاعراف المنظمة للجهات الامازيغية وموقف الشرع منها. كما فصلت القول حول الطريقة التي كانت تنظم بها القبائل الامازيغية حياتها السياسية ايام ضعف الحكم المركزي وتفاقم الصراعات بين القبائل.

المصادر والمراجع:

الافراني، محمد، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن لحادي**، منشورات بردي، بدون تاريخ.

ايت عدي مبارك (2003)، **حملة أحمد المنصور الذهبي إلى بلاد السودان، محاولة في إعادة الدراسة**، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مرقونة.

البرتلي، الولاتي (1981)، **فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور**، تحقيق محمد حجي ومحمد بن إبراهيم الكتاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

التمنرتي، عبد الرحمان (1999)، **الفوائد الجمة بإسناد علوم الأمة**، تحقيق اليزيد الراضي، الدار البيضاء، ط1.

التنبكتي، أحمد باب (1992)، **تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء**، تحقيق سعيد سامي، ضمن منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط.

التنبكتي، أحمد باب (2000) ، **معراج الصعود الى نيل مجلب السود: أجوبة أحمد باب حول الاسترقاق**، تحقيق فاطمة الحراق وجون هنويك، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط.

التنبكتي، أحمد باب (2000) ، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج**، دراسة تحقيق محمد مطيع، طبعة وزارة الأوقاف، الرباط.

التنبكتي، أحمد باب، (1989) **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا.

حجي، محمد، (1976) **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، ج:1-2،منشورات دار المغرب للتاليف والترجمة والنشر، الرباط.

رزوق، محمد، (1991) **دراسات في تاريخ المغرب**، مطبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء.

الزريقي، جمعة محمود، (1993) أحمد بابا التنبكتي،شخصية رابطة بين الساحل والصحراء ونماذج من مؤلفاته، أعمال **ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي على جانبي الصحراء**، 12-14، ماي ، طرابلس، ص ص 301-311.

السعدي، عبد الرحمان (1889)، **تاريخ السودان**، تحقيق وترجمة هوداس، مطبعة بردين انجي.

العثماني، أمحمد (2004) ، **ألواح جزولة والتشريع الإسلامي**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،الرباط.

الفشتالي، عبد العزيز (1972)، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، دراسة وتحقيق الدكتور عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط.

القادري، محمد بن الطيب (1977)، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، الرباط.

ابن القاضي (1986)، **المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور**، مطبعة المعاريف الجديدة، الرباط.

المقري أحمد (1933)، **روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحاضرتين مراكش وفاس**، الطبعة الملكية، الرباط.

الناصري، أحمد بن خالد (1954)، **كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار، البيضاء.

ملخصات الأطروحات

محمد لعضمات، (2015)، **"كتاب ترجمة معاني القرآن الكريم بالأمازيغية لجهادي الحسين: محاولة في نقد الترجمة وتجويدها"**، الدكتوراه الوطنية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس فاس.

ركّز الباحث في هذه الأطروحة على دراسة التحولات الطارئة على نص "ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الأمازيغية"، للحسين جهادي الباعمراني، من خلال الوقوف على تجليات وصور هذه التحولات، وذلك باستعمال منهج المقابلة والمقارنة بين نص القرآن الكريم من جهة، والترجمة التي أنجزها المترجم إلى اللغة الأمازيغية من جهة أخرى. فالإشكالية إذن في هذا البحث، بالنظر إلى خصوصية النص القرآني، وتميّز أسلوبه، وهالة القدسية التي تحيط به، هي كشف الستار عن الطرائق التي تَوسّل بها المترجم، للتعامل مع هذه الخصوصيات القرآنية، والسبل التي اعتمدها أثناء قيامه بعملية الترجمة إلى اللغة الأمازيغية، أو بمعنى آخر، كيف تعامل المترجم مع الظواهر اللغوية التي تُميّز النص القرآني؟ وما مدى إدراكه لهذه الظواهر قبل انكبابه على ترجمة النص القرآني؟

خصّص الباحث الفصل الأول من هذه الأطروحة للحديث عن قضايا ترجمة القرآن، وفيه خمسة مباحث. يعد المبحث الأول مدخلا إلى الترجمة الدينية، أما الثاني فقد خُصّص للحديث عن تاريخ ترجمة القرآن الكريم، كما تناول المبحث الثالث قضية التعريف بترجمة القرآن، وبيان أقسامها، بينما خُصّص الرابع لبيان مواقف العلماء والمؤسسات الدينية من ترجمة القرآن، وتناول المبحث الخامس بعضا من الإشكاليات المتعلقة بترجمة القرآن، ومنها المعجم والدلالة.

خصص الباحث الفصل الثاني من أطروحته للجانب التطبيقي، حيث قام بدراسة نقدية مقارنة لبعض الظواهر والخصائص القرآنية، مع التعليق على الترجمات وتحليل أسلوب المترجم في التعامل مع هذه الظواهر. يحتوي هذا الفصل على ثمانية مباحث. اهتم المبحث الأول بتقديم مدونة البحث، وهي كتاب "ترجمة معاني القرآن باللغة الأمازيغية" لمؤلفه الحسين جهادي. أما المبحث الثاني فقد خصّصه للحديث عن المحاذير الموجودة في

ترجمة أسماء السور إلى اللغة الأمازيغية. وتناول المبحث الثالث نماذج من الحذف في ترجمة القرآن إلى الأمازيغية، وخُصّص المبحث الرابع لدراسة مبدأ اتساق الترجمة من خلال تكرار بعض الآيات أو المقاطع المتطابقة في القرآن الكريم، وعالج المبحث الخامس الإشكالات المترتبة عن ترجمة النظام الصوتي في القرآن إلى اللغة الأمازيغية، من خلال دراسة مدى انتقال الفاصلة القرآنية إلى النص المترجم باللغة الأمازيغية، في حين خُصّص المبحث السادس لاضطراب الاستفهام في ترجمة القرآن الكريم إلى الأمازيغية، ووقف المبحث السابع على المحاذير الواردة في ترجمة أساليب التوكيد في القرآن الكريم إلى اللغة الأمازيغية، ثم انتهى المبحث الأخير بدراسة اضطراب أسلوب التقديم والتأخير في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأمازيغية.

وفي الأخير، ختم الباحث هذه الأطروحة بخلاصة النتائج التي توصل إليها، وخرج بمجموعة من التوصيات الرامية إلى تجويد ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الأمازيغية.

علي موريف، (2015)، **تدريس التاريخ وبناء الهوية الوطنية: مُساهمة في التحليل السُّوسيوتربوي للخطاب التاريخي المدرسي بالمغرب؛ السلك الثانوي الإعدادي نموذجاً**، الدكتوراه الوطنية، كلية علوم التربية، جامعة محمد الخامس، الرباط.

الكلمات المفاتيح: تدريس التاريخ – الهوية الوطنية – الذاكرة الجماعية – السلك الثانوي الإعدادي – الكتب المدرسية – المنهاج الدراسي– الخطاب التربوي– الخطاب السياسي – الوثيقة الدستورية

تُحاول هذه الأطروحة تسليط الضوء على الصعوبات والإشكالات التي يعرفها تدريس التاريخ بالمدرسة المغربية في علاقته بتيمة الهوية الوطنية على ضوء السّياق السياسي والاجتماعي والثقافي الذي يُميّز المغرب الراهن. وهي مُساهمة علمية تتوخى توفير معرفة تحليلية وتقويمية من شأنها إغناء الحقل التربوي المتّصل بديداكتيك المواد الاجتماعية، ولاسيّما مادة التاريخ. وإذا كانت الأطروحة قد انطلقت من فرضية أساسية تقوم على كون الخطاب السُّيوسيُوسياسي (في مُجمله) يُقرّ بمبدأ التّعدّد في بنية الهُويّة الوطنية وفي جوهرها الأمازيغية، مع بقاء الخطاب التاريخي المدرسي بعيداً عن الإقرار بهذا المبدأ، وترجمته إلى تعلّمات بيداغوجية من شأنها تملّك المتعلّمين لتفكيرٍ تاريخيّ عقلانيّ، تعدّدي وديموقراطيّ حُيَال تيمة الهُويّة الوطنية؛ فإنها حاولت الإجابة عن التساؤل الإشكالي الآتي: **كيف السبيل لتقليص حجم الهوة بين الخطاب السُّوسيوسياسي والخطاب التاريخي المدرسي أمام رهان الانتظارات المُجتمعية من تدريس التاريخ في بلدٍ يتّسم بالتعدّد في بنية الهوية الوطنية؟**

يتكون هذا العمل، بالإضافة إلى مقدمة عامة ومدخل منهجي وخاتمة، من قسمين أساسيين. حاول القسم الأول الغوصَ في طبيعة العلائق والوشائج القائمة بين المفاهيم المُؤسِّسة والمهيكلة لهذا البحث. وهي: التاريخ، والهوية الوطنية، والذاكرة الجماعية، وذلك في إطار علاقات تفاعلية وتداخلية بين هذه المفاهيم ودلالاتها النظرية، وامتداداتها التربوية والاجتماعية ضمن مسار تطور المعرفة التاريخية المدرسية. وقد قمنا

بتسليط الضوء على مختلف أدوار ووظائف المدرسة، وكذا رهاناتها بوصفها فضاءً تنشيئياً يُساهم بشكل فعّال في تشكيل معالم الهويّة الوطنية لدى المتعلّمين باعتبارهم مواطني الغد. والهدف من وراء ذلك هو الإجابة عن السؤال المتعلق بطبيعة المقاربة/المقاربات التربوية والديداكتيكية النّاجعة لتدريس مادة التاريخ في علاقته بتشكيل معالم الهوية الوطنية ورموزها لدى هذه الفئة. كما ركز هذا القسم على موضوع التاريخ في علاقته بمسار بناء الهوية الوطنية من خلال عنصرين أساسيين: يقوم العنصر الأول على تفكيك مساهمة موضوع التاريخ، باعتباره صيرورة ممتدة في الزمن، في بناء الهوية الوطنية وتشكيل رموزها ومعالمها الأساسية؛ فضلاً عن دوره وموقعه (أي التاريخ) في ضمان تعدّد معالم الهوية الوطنية ورموزها، عبر مدخل تعدّد الذّواكر الجمعية من جهة، وتعدّد زوايا نظر البحث التاريخي الأكاديمي تجاه الماضي بوقائعه وأحداثه المتنوعة والمختلفة من جهة أخرى. فيما يركز العنصر الثاني على طبيعة العلاقة التي تجمع بين التربية، باعتبارها حلقة أساسية من حلقات التنشئة الاجتماعية بالنسبة للتلاميذ، وبين تشكّل الهوية الوطنية بمعالمها ورموزها في تمثلاتهم. وبالإضافة إلى ذلك؛ سلط هذا القسم الضوء على وظائف المدرسة ورهاناتها المتعددة في تشكيل الهوية الوطنية وفق مداخل متنوعة تروم تحقيق تلك الهوية، وذلك في تناغم وتفاعل مع المشروع المجتمعي الذي تندرج في إطاره المدرسة. هذا فضلاً عما خُصّص من تحليل لكشف أهمية الدرس التاريخي المدرسي وموقعه في التأثير في مسار بناء الهوية الوطنية، من خلال مجموعة من الأبعاد والمؤشرات، وكذا استحضار مختلف الوظائف التربوية والاجتماعية لتدريس التاريخ، لاسيّما إذا استحضرناه باعتباره مادة حاملة للقيم الاجتماعية والسياسية والفكرية، وما لها من امتدادات على مسار الناشئة المغربية.

وفي القسم الثاني؛ حاول هذا العمل مقارنة صورة الهوية الوطنية في الخطاب السياسي والمدني من جهة بصورة هذه الهوية في الخطاب التاريخي، بشقّيه الأكاديمي والمدرسي، من جهة أخرى. ومن أجل أجرأة هذه المقاربة التحليلية، القائمة على المقارنة بين الخطابين، قُمنا بتجزيء كل منهما إلى عنصرين اثنين توخياً للفعالية والمرونة . ويتعلق العنصر

الأول بالخطاب السياسي الذي حاولنا حصره في مكونين اثنين، يمكن على ضوئهما قراءة المشهد السياسي والثقافي والمدني بالمغرب قراءةً تركيبيةً في علاقته بموضوع الهوية الوطنية مع التركيز على مظاهر وتجليات النهضة الحديثة للهوية الأمازيغية. هكذا يسعى المبحث الأول إلى فكّ طلاسم مفهوم الهوية الوطنية في مضمون بعض الخطب الملكية والوثيقة الدستورية، فيما يتناول العنصر الثاني مضمون الأدبيات والوثائق المذهبية لبعض الأحزاب السياسية وهيئات المجتمع المدني؛ لاسيّما التشكيلات السياسية والمدنية ذات المرجعية الأمازيغية، مع استخراج تمظهرات وتوجهات ومرامي الهوية الوطنية كما تعكسها تلك الوثائق. كما شمل أيضاً تحليل مضامين الوثائق التربوية ذات الصلة بتدريس التاريخ كالميثاق الوطني للتربية والتكوين والمنهاج التربوي لسنة 2002 بأهدافه التربوية والاجتماعية والمعرفية، فضلاً عن تفكيك مضامين ومحتويات الكتب المدرسية عبر اعتماد شبكة للتحليل مبنية على مؤشرات دالة. وبذلك بسط هذا القسم أوجه الائتلاف والاختلاف بين مجموعة من الخُطب والوثائق، ومحاولة إبراز طبيعة وخصوصية كل منها في ما يتعلق بمعالم ومرتكزات الهوية الوطنية، مع تقديم مُلخّص تركيبي للوضعية الراهنة للهوية الوطنية بالمغرب، وكذا التحدّيات والرّهانات المنتظرة في ضوء التحولات المجتمعية الأخيرة، وتأثيراتها المتوقعة على المنظور العام لتلك الهوية، وتحديداً ما يتّصل بتدبيرها السياسي والتربوي والمؤسساتي. كما أبرزت الأطروحة موقع ومكانة القوى والكتل المجتمعية داخل مربع صناعة المنهاج التربوي المرتبط بتدريس مادة التاريخ والتأثير في مضامينه وتوجهاته في علاقته بالمشروع الوطني، مع التساؤل عن الرهانات والتحديات التي يفرضها هذا الواقع على القوى الأمازيغية الصاعدة.

وقد خلُصت الدراسة إلى استنتاج أساسي مفاده أن بروز الظاهرة الهوياتية، على الصعيد السياسي والاجتماعي والتربوي، يُعطي صورة عن التغيّرات والتحولات التي تطال جوهر المرجعيات والمرتكزات السياسية والثقافية المُؤسِّسة للدولة ومؤسساتها التنشيئية والتربوية، ومنها المُؤسّسة المدرسية. وعليه؛ فقد شهد مفهوم الهوية الوطنية تطوراً ملحوظاً عبر تجديد النظرة إليه في المجال السّوسيوسياسي، وخاصة ما يتعلق بمضامين الوثيقة

الدستورية والخُطب الملكية والوثائق المذهبية لعددٍ كبيرٍ من الأحزاب السياسية وكذا تصورات منظمات المجتمع المدني، فضلاً عن المقاربات الجديدة للهوية الوطنية، المقرونة بالمواطنة، في المجال الأكاديمي المرتبط بالتاريخ العالِم أو التاريخ التأليفي والتركيبي؛ بينما ظلّ منظور تلك الهوية في المجال التربوي، ولاسيّما مكونات الخطاب التاريخي المدرسي على حاله، ولم يُساير تلك التطورات بالشكل الذي يُكرس مبادئ التعددية الثقافية والهوياتية.

قواعد النشر بمجلّة أسيناگ ⵓⵙⵉⵏⴰⴳ

مقتضيات عامة

- تقبل الأعمال العلمية التي لم يسبق نشرها.
- يتعين إرفاق كل عمل مقترح للنشر بتصريح بالشرف من مؤلّفه، يفيد بأنه عمل أصلي لم يسبق عرضه للنشر في دورية أو مطبوعة أخرى.
- يشترط في المقال المتضمّن عرضاً أو قراءةً لمؤلَّف منشور أن يقدّم قراءة نقدية لأحد المؤلّفات حديثة النشر، كتابا كان أو دورية أو غير ذلك، بوضعه في سياق مجموع الإصدارات حول الموضوع المعني.
- كل مقال تنشره المجلة، يصبح ملكا لها. ويلتزم المؤلّف بعدم نشر ذات المقال في مكان آخر دون إذن خطّي مسبق من مديرية المجلة.
- تعبر الأبحاث والمقالات المنشورة عن أفكار وآراء أصحابها، ولا تمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو المؤسسة التي تصدرها.
- لا ترد أصول المواد إلى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل، ولا تلتزم المجلة بإشعارهم بذلك.

أعراف تقديم المقالات

- يسبق نصّ المقال بصفحة غلاف، تتضمن عنوان المقال، واسم الكاتب ولقبه، واسم المؤسسة التي ينتمي إليها، وعنوانه، ورقم هاتفه، ورقم الفاكس، وعنوانه الإليكتروني. ولا يثبت على رأس الصفحة الأولى من المقال، سوى اسم الكاتب ولقبه والمؤسسة التي ينتمي إليها.
- تبعث المقالات إلى المجلة بواسطة البريد الإليكتروني، في شكل ملف مرتبط (Fichier attaché)، قياس وورد Format Word، إلى عنوان المجلة: asinag@ircam.ma

- يجب ألا يزيد المقال عن 30.000 حرفا، بما فيها المراجع والجداول والملاحق.
- يقدم المقال مطبوعاً على ورق (A4) وعلى صفحة بمقاس (24/17)، وباعتماد نوع Traditional Arabic ، حجم الخط (16)، ببُعد يساوي "18 Exactement"، مع هوامش (يسار ، يمين) 2 سم، و(أعلى، وأسفل) 2.5 سم. وبالنسبة لخط تيفناغ، يعتمد نوع Tifinaghe-ircam Unicode، حجم 12، الممكن تحميله من موقع المعهد http://www.ircam.ma/fr/index.php?soc=telec. ولكتابة الأمازيغية بالحرف اللاتيني، يعتمد أحد حروف منظومة Unicode، من قبيل Gentium مثلا.
- يُصاغ عنوان المقال في حوالي عشر كلمات، مع إمكانية إتباعه بعنوان فرعي مفسّر له. ويكون ممركزا وببنط عريض بحجم 18. ويكتب اسم صاحب المقال ومؤسسته أسفل العنوان بأقصى يسار الصفحة الأولى.
- تُصاغ عناوين الفقرات والفقرات الفرعية لكل مقال بالبنط العريض، بحيث يكون حجم الأولى 17، وحجم الثانية 16.
- يُرفق النص بملخص لا يتجاوز عشرة أسطر، ويُترجم إلى لغة أخرى غير تلك التي كُتب بها المقال.

وسائل الإيضاح

- ترقّم الجداول بالترتيب، داخل المتن، بالأرقام الرومانية. ويكون التعليق أعلاها.
- ترقّم الرسومات والصور داخل المتن، متتابعة بالأرقام العربية. ويُعلق أسفلها.

المراجع البيبليوغرافية والإليكترونية

- لا تثبت المراجع البيبليوغرافية بكامل نصها داخل المتن ولا في الهوامش. ويُكتفى داخل المتن بالإشارة، بين هلالين، إلى اسم المؤلف(ين)، متبوعا بسنة إصدار المرجع المحال إليه؛ وعند

الاقتضاء، يضاف إليهما رقم / أرقام الصفحة /الصفحات المعنية. وفي حالة تعدّد المؤلفين، يشار إلى أولهم متبوعا بعبارة "وآخرون".

مثال: (صدقي، 1999)؛ (صدقي و أبو العزم، 1966)؛ (صدقي وآخرون، 1969)؛ (صدقي 2002: 20).

- في حالة تعدّد المصادر لنفس المؤلِّف في نفس السنة، يميَّز بينها بواسطة حروف حسب الترتيب الأبجدي (1997أ، 1997ب، إلخ.).

مثال: (خير الدين، 2006أ)، (خير الدين، 2006ب).

- في حالة تعدّد طبعات نفس المرجع، يشار إلى الطبعة الأولى بين قوسين معقوفين[...]، في آخر المرجع باللائحة البيبليوغرافية.
- تقدّم المراجع كاملة، مرتبة أبجديّا بأسماء المؤلفين، في نهاية المقال (دون تجاوز الصفحة).
- تكتب عناوين الدوريات والمجلات والكتب بالبنط العريض.
- تشمل المعلومات الخاصة بالكتب، على التوالي، اسمي الكاتب، العائلي والشخصي، وسنة الإصدار، ثم عبارة (ناشر) إن كان ناشرا أو مدير نشر، ثم عنوان الكتاب، فمكان النشر، ثم اسم الناشر. ويتم الفصل بين هذه الإشارات بفواصل.

مثال: شفيق، محمد (1999)، **الدارجة المغربية مجال توارد بين الأمازيغية والعربية**، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية.

- توضع عناوين مقالات الدوريات، وكذا فصول الكتب، وغيرها من مقتطفات المراجع، بين مزدوجتين.
- تشمل الإحالات على مقالات المجلات والدوريات، على التوالي، وبالترتيب، اسمي الكاتب العائلي والشخصي، وسنة النشر، وعنوان المقال بين مزدوجتين، ثم اسم المجلة، ورقم المجلّد، والعدد، ورقم كل من الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة. ويتم الفصل بين هذه الإشارات بفواصل.

مثال: أزايكو صدقي، علي (1971)، "مشاكل البحث التاريخي في المغرب"، **الكلمة**، عدد 2، ص 25-40.

- تشمل الإحالات على مقالات الصحف والجرائد، فقط، عنوان المقال بين مزدوجتين، ثم اسم الصحيفة، ومكان النشر وتاريخ العدد ورقم الصفحة.

مثال : "الحقوق الثقافية والمسألة الأمازيغية"، **السياسة الجديدة**، الرباط، 22 أكتوبر 2002، ص 8.

- للإحالة على فصول كتب جماعية، يشار إلى اسمي الكاتب العائلي والشخصي، ثم عنوان الفصل، فمرجع الكتاب بين قوسين معقوفين [...].

مثال : شفيق، محمد (1989)، "إمازيغن"، [**معلمة المغرب**]، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، سلا.

- للإحالة على أعمال ندوة أو مناظرة، يشار إلى عنوان وتاريخ الندوة أو المناظرة.

مثال: الراجحي، عبده (1984)، "النحو العربي واللسانيات المعاصرة"، **البحث اللساني والسيميائي** ، أعمال ندوة نظمتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، أيام 7 و8 و9 ماي 1981، الرباط، ص 153-164.

- للإحالة على أطروحات جامعية، تعتمد نفس الأعراف بالنسبة للكتب، مع الإشارة إلى كون العمل أطروحة جامعية، وإلى نظامها (دكتوراه دولة، دكتوراه السلك الثالث، إلخ.)، وإلى الجامعة الأصلية.
- مثال: جودات، محمد (2002)، **تناصية الأنساق في الشعر الأمازيغي**، دكتوراه، جامعة الحسن الثاني عين الشق، كلية الآداب و العلوم الإنسانية.
- للإحالة على مراجع بالمواقع الإليكترونية (webographie)، يتعيّن الإشارة إلى URL، وتاريخ آخر رجوع إلى صفحة الويب page web.

مثال : http//fr.wikipedia.org/wiki/langue construite, octobre 2007

الهوامش والاستشهادات

- في حالة ما قرر صاحب المقال استخدام الاختصارات للإشارة إلى بعض العناوين التي غالبا ما يتكرر استخدامها في النص، يتوجب شرح وتوضيح المختصرات، في الهامش، عند أول استخدام.
- في حالة توافر الهوامش، تثبت بأسفل الصفحة وليس في نهاية المقال، وترقّم بالتتابع.
- الاستشهادات : عندما يكون الاستشهاد في أقل من خمسة أسطر، يوضع بين مزدوجتين "..." داخل النص. وحين يتعلق الأمر باستشهاد ضمن استشهاد آخر، يستعمل هلالان منفردان "....'....'....". أما الاستشهاد الذي يتجاوز خمسة أسطر، فيقدّم دون مزدوجتين، مع انحياز نصه عن حاشية نص المقال، وببعد واحد بين سطوره.
- توضع جميع التصرّفات أو التعديلات في الاستشهاد (إغفال كلمات أو جمل أو حروف، إلخ.) بين معقوفين [...].
- العناوين الفرعية: يمكن تقسيم النص إلى فقرات وأجزاء باستعمال عناوين فرعية بالبنط العريض.
- البنط العريض: يستعمل البنط العريض بدلا من تسطير الكلمات والجمل المراد إبرازها.